# الهجاء سلاح الشعراء العباسيين في معاركهم الشعرية

**ثائر سمير حسن الشمري**
**كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل**
**Dr. thaaer . al Shimary @gmail.Com**

**الملخص**

هناك نتاج كبير من الشعر الهجائي الذي هجا فيه الشعراء العباسيون شعراء آخرين، غير أنّ ذلك الهجاء لم يرقَ إلى مستوى النقائض التي عرفناها في الشعر الأُموي، ولذلك آثرتُ دراسة المعاني التي احتواها ذلك الشعر، بصرف النظر عن ردود الأفعال التي صدرت عن بعض الشعراء العباسيين، لقلّتها وعدم تشكيلها ظاهرة كبيرة يمكننا اعتمادها في الدراسة.

**الكلمات المفتاحية:** الهجاء، المعارك الشعرية، الشعر العباسي.

**Abstract**

There was a lot of written poems a bout satiric poems in which poets tend to refuse other poets, but this sort of writing didn't reach a state of contradiction. Thus, in this research, the researcher studied the meaning of this type of poems regardless of the reaction that emerged from some of the Abbasid poets, due to its rarity to the extent that it cannot be considered as a considerable phenomenon to be depended on in this research.
**Key words:** Satire, Poetic battles, Abbasid poetry.

حين عقدت العزم على دراسة الشعر الهجائي الذي هجا فيه الشعراء العباسيون شعراء آخرين، وجدتُ نتاجاً كبيراً ، فكثيراً ما هجا الشعراء بعضهم بعضًا، غير أنّ ذلك الهجاء لم يرقَ إلى مستوى النقائض التي عرفناها في الشعر الأموي، ولاسيما لدى جرير والفرزدق والأخطل، ولذلك آثرتُ دراسة المعاني التي احتواها ذلك الشعر الهجائي، بصرف النظر عن ردود الأفعال التي صدرت عن بعض الشعراء العباسيين؛ لقلّتها وعدم تشكيلها ظاهرة كبيرة يمكننا اعتمداها في الدراسة، كالهجاء الذي تبادله وتبادل مضامينه الشاعر أبو سعد المخزومي مع دعبل الخزاعي، أو الأخير مع مروان بن أبي حفصة، أو يحيى بن علي المنجم مع ابن المعتز، أو غيرهم، فأكثرُ الشعراء العباسيين الذين هُجُوا من لدن شعراء آخرين تجاهلوا ذلك الهجاء ، فلم يردّوا على أصحابه ؛ استصغاراً لهم، واحتقاراً لشأنهم، وقد روى لنا ابن رشيق القيرواني بعض القصص في الشأن هذا، سواء من العصر العباسي أو من العصور التي سبقته، أرى أنّ الاستشهاد بها ضروري في المحل هذا، فالشاعر المخبَّل السعديّ هجا الزبرقان بن بدر، فأجابه الأخير ؛ لأنه رآه أهلاً لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه، فلمّا هجاه الحطيأة لم يره مكاناً للجواب، مع أنّه ابن عمِّه وجاره في النسب لأنّهما جميعاً من مضر، بل استعدى عليه عمر بن الخطاب ﷺ فأنصفه(١).

أمّا بشّار بن برد، فانه هجا جريراً بأشعار كثيرة فلم يجبه، فقال بشار: ولم أهجه لأغلبه، ولكن ليجيبني فأكون من طبقته، ولو هجاني لكنت اشعر الناس(٢).

إنّ الرواية هذه تكشف عن أنّ بعض هجاء الشعراء للشعراء كان بهدف تحقيق الشهرة والمكانة المرموقة في مجال الشعر، ولاشكّ في أنّ الشاعر الذي يفكر على النحو هذا هو شاعر تنتابه هواجس مَرَضِيّة وغير طبيعية، وهكذا كان كثير من الشعراء الهجائين على مرِّ العصور السياسية والأدبية.

وهجا حمّاد عجرد بشّاراً ، فلم يجبه أنفةً واحتقاراً، إلى أنْ قال فيه:

**لـــه مقلـــةٌ عميـــاءُ و..... بـــصيرةٌ إلـــى.....، مـــن تحـــتِ الثيـــابِ تُـــشيرُ**

**علـــــــى ودِّه أنّ الحميـــــــرَ..... وأنّ جميـــــع العـــــالمينَ حميـــــرُ**

فغضب وهجاه . قال الجاحظ: ما كان ينبغي لبشّار أنْ يضاد حماد عجرد من جهة الـشعر ؛ لأنّ حمّـاداً في الحضيض وبشّاراً في العَيُّوق، وليس مولد قروي يعدله شعر في المحدث إلاّ وبشار أشعر منه[٣].

وهجا ابنُ الرومي البحتريَّ، وابن الرومي شاعر كبير كما هو معروف لدى الجميع، فأهدى إليه البحتري تحت متاع وكيس دراهم، وكتب إليه ليريه أنّ الهدية ليست تَقِيَّةً منه، ولكن رقّة عليه، وأنّه لم يحمله على ما فعـل إلاّ الفقر والحسد المفرط:

**شـــــــــاعرٌ لا أهابُـــــــــهْ نَبَحَتْنِـــــــــي كلابُـــــــــهْ**

**وإنَّ مَـــــــن لا أعِـــــــزُّهُ لَعَزيـــــــزٌ جوابُـــــــهْ[٤]**

أمّا أبو تمام، فقد هجاه دعبل وغيره من الأكفاء فجاوبهم، وابتدأ بعضهم، ولكنّه لم يلتفت إلى مخلـد بـن بكار الموصليّ حين هجاه ؛ لأنه رآه دون المهاجاة والجواب، ولو هجاه لشرفت حالُهُ ونَبُه ذكرُه [٥].

وفعل المتنبي الأمر نفسه حين ابتُلي بحماقات ابن حجاج البغدادي: فقد سكت عنه اطِّراحاً واحتقاراً، ولـو أجابه لما كان بحيث هو من الأنفة والكبر ؛ لأنّه ليس من أنداده ولا من طبقته[٦].

والكل يعلم مقدرة المتنبي فيما لو أراد هجاء الشعراء الآخرين أمثال ابن حجاج البغدادي، وابـن سُـكَّرة الهاشمي، وابن لنكك البصري، فهو يُحذِّر الآخرين من عداوة الشعراء، وذلك في أثناء مدحه لبدر بـن عمـار، إذ يرى أنّ عداوة الشعراء أمرٌ خطير، يقول:

**ومَكايِـــدُ الـــسُّفَهاءِ واقِعَـــةٌ بهِـــم وعَـــداوَةُ الـــشُّعراءِ بِـــئْسَ المُقْتَنَـــى[٧]**

ولعلَّ في بيت المتنبي رؤية إلى وجهة نظر الشاعر الشافعي، التي رأى فيها أنّ الشاعر الهجّاء كـالأفعى التي بإمكانها نزع جلدها، فهو يطرح رداء الحياء، ولذلك تكون عداوته داءً معضلاً لا يمكن علاجه إلاّ من خـلال إغداق الأموال عليه، يقول:

**والـــشاعر المنطيـــق أســـود ســـالخٌ والـــشّعر منـــه لعابُـــه ومجاجُـــه**

**وعـــداوةُ الـــشعراءِ داءٌ معـــضلٌ ولقـــد يهـــونُ علـــى الكـــريم علاجُـــه[٨]**

فعلى الرغم من قوّة شاعرية المتنبي، وتمكنّه من ناصية الشعر ، نراه يكتفي بهجاء مَن تَعَرّض لـه مـن الشعراء بقوله مخاطباً إيّاهم جميعاً:

**يَرُومُـــون شَـــأوِي فـــي الكـــلامِ وإنّمـــا يُحاكِي الفَتَـــى فيمـــا خَـــلا المنْطِـــق القِـــرْدُ**

**فهُـــمْ فـــي جُمُـــوعٍ لا يَراهـــا ابـــنُ دَأيَـــةٍ وهُـــم فـــي ضَـــجيجٍ لا يُحِـــسُّ بهـــا الخُلْـــدُ**

**ومِنّـــي اســـتفادَ النـــاسُ كُـــلَّ غَريبـــةٍ فجـــازُوا بِتَـــرْكِ الـــذَّمِّ إنْ يَكُـــنْ حَمْـــدُ[٩]**

فهو يرى أنّ أولئك المتشاعرين يحاولون بلوغ مكانته في الشعر، ولكنهم بالقياس إليه كالقرد بالقياس إلى الإنسان، يحاكيه في أفعاله كلها باستثناء المنطق الذي يعجز عنه ، فهم لا يستطيعون الإتيان بمثل كلامه، كما أنهم في جموع لا يُبصرها الغراب مع حدّة بصره، ولا يسمع الخلدُ أصواتَهُم مع حدّة سمعه، فهم غاية في هبوط الشأن، إذ اخذوا من الشاعر كل شعر بارع وانتحلوه ، لذا يطالبهم الشاعر بترك ذمّه.

ومن مرويات ابن رشيق القيرواني الأُخر في المضمون نفسه، أعني رغبة بعض الشعراء عن الردّ على من قام بهجائهم ؛ احتقاراً لهم، واستصغاراً لمكاناتهم، هي أنّه لما وصل أبو القاسم بن هانئ إلى افريقية هجاه بعض الشعراء ، فقال: لا أُجيب منهم أحدًا إلاّ أنْ يهجوني عليّ التونسي فإنّي أُجيبه ، فلمّا بلغ قوله عليًّا قال: أما إنّي لو كنت ألأم الناس ما هجوته بعد أنْ شرّفني على أصحابي وجعلني من بينهم كفئاً له(١٠).

ومن المعروف أنّ كثيراً من الأهاجي للشعراء كانت بدافع الحسد من الشعراء المتفوقين، والغيرة منهم ومن المكانة المرموقة التي حظوا بها، وقد يكون الدافع دينيًّا مذهبيًّا يدور في أصول العقيدة والمذهب الذي ينتمي إليه بعض الشعراء، وهذا هو السرّ الذي يكمن خلف الأهاجي التي تبادلها دعبل بن علي الخزاعي ومروان بن أبي حفصة، فالأوّل كان علويّ الهوى والمذهب، في الوقت الذي كان فيه الآخر عبّاسي التوجّه، وجاء بعض الهجاء من لدن بعض الشعراء لابتزاز بعض الشعراء من ذوي الحظوظ الوافرة، كما حدث مع بشار بن برد من لدن الشاعر المعروف بأبي الشمقمق ، إذ علِم الأخير أنّ عقبة بن سلم الأزدي وصل بشّاراً بعشرة آلاف درهم، فوافاه وسأله أنْ يواسيه بشيء منها، فامتنع بشّار، فقال له أبو الشمقمق: يا أبا معاذ لقد مررت بصبيان فسمعتهم ينشدون:

**هللينه هللينه طعن قثاة لتينهْ**
**إنّ بشّار بن برد تيس أعمى في سفينهْ**

وما أنْ سمع بشار البيتين حتى أعطاه ما أراد وقال له: لا تكن راوية للصبيان(١١).

كما كان بعض الشعراء يتألمون من هجاء الشعراء الآخرين لهم ؛ لما فيه من سخرية مريرة تنال من كبريائهم ومن مقاماتهم في المجتمع، وخير مثال نستدلّ به على المسألة هذه هو بشار بن برد أيضاً، فحين سُئلَ ما أقبحُ ما هجاك به من حماد عجرد؟ فقال: قوله:

**ويا أقبح من قردٍ إذا ما عَمِيَ القردُ**

كما قيل : لم يشدّ عليه من هجائه إيّاه شيءٌ كما اشتدّ عليه هذان البيتان:

**لو طُلِيَتْ جِلدتُه عنبرا لنتَّنَتْ جِلدتُه العنبرا**
**أو طُلِيَتْ مِسكاً ذَكِيَّا لَحُوِّلَ المسكُ عليه خرا(١٢)**

إنّ الألم الذي كان ينتاب بعض الشعراء الكبار من هجاء الشعراء ممَّن هم دونهم في الإجادة في فن القول وفي الشهرة، دفع كثيراً منهم إلى دفع الأموال لأولئك الشعراء الصغار ؛ كي يتخلصوا من هجائهم لهم، ومنهم دعبل الخزاعي، فعلى الرغم من شهرته في فن الهجاء وقوته على النيل من مهجوّيه نراه يدفع ثمناً لبعض الشعراء ، ليشتري هجاءهم فيه، فقد كان دعبل يخرج إلى خراسان والمأمون بها، والإمام الرضا (عليه السلام) معه هناك، فيمدحهما فيجزلان له العطية، وكان يجتاز بقمّ فيقيم عند شيعتها فيقسّطون له في كلّ سنة خمسين ألف درهم، وكان بقمّ

إنسان يتعاطى الشعر، يقول شيئاً ضعيفاً يُضحَك منه. وأُنْشِدَ دعبلٌ شيئاً من شعره، فقال للمنشد: أمسك فإنّ استماع هذا يصدأ منه السمع . فبلغَ الرجلَ ذلك فصار إليه وقال له: أنت الذي رذّلتَ شعري ؟ قد قلتُ فيك أبياتاً . فقال لــه: هاتِ ، فقال:

**فـــــــي ..... دعبـــــــلْ بُلابـــــــلْ　　　لـــــــــيس يَـــــــــشْفى لقابـــــــلْ**

**لـــــــــــيس يـــــــــشفيه إلاّ　　　..... بَغْـــــــــــل بكابـــــــــــلْ**

قال: فَسُقِط في يده وقال: والله ليسيرنَّ شعر هذا الجيفة على ألسنة العامة والصبيان، وقال: أعطيك شــيئاً وتكتم هذه الأبيات ولا ترويها ؟ قال: وما أريد غير ذلك، وكان ضعيف الحال، فقال: أعطوه مائة درهــم، فقــال: والله لا أخذت إلاّ ألفاً، فقبضه وخرج، فقيل له: ما صنعت ؟ هذا يُدْفَعُ إليه من درهم إلى درهمين وقد كان يرضـــيه منك خمسة دراهم، فقال: دعوني من هذا، والله لو احتكم على الخمسين الألف التي قسمت لي بقمّ لَدَفَعْتُها إليه، ثــمّ خرج دعبل، وشاع ذلك في البلاد، فهتف به الغوغاءُ والسَّفَلُ والعبيد، واحتاج أنْ يتــرك البلــد ولا يدخلــه مــرّة أخرى[١٣].

إنّ الغضب من الشاعر الهاجي هو ما يدفع بالشاعر المهجو إلى الانتقام ممَّن هجاه، وحينها سيكون وقــع الشعر على المبتدئ في القول أشدّ ألماً، بوصف ذلك دفاعاً عن النفس، وردًّا للاعتبار والكرامة المسلوبة، فقد قيــل قديماً: إنّ قواعد الشعر أربع: "**الرغبة ، والرهبة، والطرب، والغضب: فمع الرغبة يكون المدح والــشكر، ومــع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب المُوجِع** " [١٤].

أمّا مَن لم يتّعظ من الشعراء فسيكون مصيره على أسوأ حال، ويغدو كمصير أبــان بــن عبــد الحميــد اللاحقي حين تهاجى مع شاعر كأبي نواس، إذ كان أبان اللاحقي ظريفاً يمدح البرامكة، وكان مخصوصاً من بينهم بجعفر لا يكاد يفارقه، وكانت البرامكة إذا أرادوا تفرقة مال على الشعراء ولَّوه ذلك، فأُمِرَ له بمال يفرّقــه فــيهم، وكان كثيراً ففرّقه وأمر لأبي نواس بدرهم ناقص، وأرسل إليه: إنّي قد أعطيتُ كلّ شــاعر علــى قــدره، وهــذا مقدارك، فَوجَد عليه أبو نواس، فلمّا قال اللاحقي قصيدته الحائية التي يصف فيها نفسه ويلفق فيها عند جعفر بــن يحيى البرمكي، وهي قوله:

**أنــــا مــــن حاجــــة الأميــــر وكنــــزٌ　　　مــــن كنــــوز الأميــــر ذو أربــــاحِ**

**كاتــــب حاســــب أديــــب خطيــــب　　　ناصــــح راجــــح علــــى النــــصَّاحِ**

**شــــاعر مُفْلــــق أخــــفّ مــــن الرّيــــ　　　شــــة ممّــــا تكــــون تحــــت الجَنــــاحِ**

**لــــو رآنــــي الأميــــر عــــاينَ منّــــي　　　شَــــمَّريًّا كالجُلجــــل الــــصَّيَّاحِ**

**لحيــــة سَــــبْطة وأنــــف طويــــل　　　واتِّقــــادٌ كــــشعلة المــــصباحِ**

**لــــست بــــالمفرط الطويــــل ولا بالمُـــــ　　　سْــــتَكِنّ المُجحْــــدَرِ الدحْــــداحِ**

أيمـــنُ النـــاس طـــائراً يـــومَ صَـــيدٍ ... لغـــــدوٍّ دُعيـــــتُ أمْ لـــــرواحِ
أبـــصرُ النـــاسِ بـــالجوارحِ والأكلـــُ ... ـــب والخُـــرّدِ الـــصِّباحِ المِـــلاحِ

وبلغ أبا نواس القصيدة هذه، فقال: واللهِ لأُعرّقَنَّه نفسه، وأنشأ يقول:

إنّ أولـــى بخـــسّة الحـــظَ منّـــي ... للمُـــسَمَّى بالجلجـــل الـــصيّاحِ
فَبَلَـــوْا منـــه حـــين غَنّـــى لـــديهمْ ... أخْـــرَسَ الـــصَّوتِ غيـــر ذي إفـــصاحِ
ثُمّ بالريش شَبّه النفس في الخفَّـ ... ـــة ممّـــا يكـــون تحـــت الجَنـــاحِ
فـــإذا الـــشُّمُّ مـــن شـــماريخ رَضْـــوَى ... عنـــده خِفَّـــةً نَـــوى الـــسَّبَّاحِ
لـــم يكـــن فيـــك غيـــر شـــيئين ممّـــا ... قلـــت مـــن بعـــد خَلْقِـــك الدَّحـــداحِ
لحيـــة ســـبطة وأنـــف طويـــل ... وهبـــاءٌ ســـواهما فـــي الرِّيـــاحِ
فيك مـــا يحمـــلُ الملـــوكَ علـــى الخُـــر ... قِ ويُـــزري بالـــسّيّد الجَحْجـــاحِ
فيـــك تيـــةٌ وفيـــك عُجـــبٌ شـــديدٌ ... وطمـــاحٌ يفـــوق كـــلّ طمـــاحِ
بـــاردُ الطـــرفِ مظلـــمُ الكِـــذْبِ تَيَّـــا ... هُ معيـــد الحـــديث عـــنُّ المُـــزاحِ

فلمّا انتهى الشعر إلى اللاحقي سُقِطَ في يده، وعلم أنه إنْ بلغ ذلك البرامكة أُسقِطَ عندهم، وندم علـــى مـــا كان منه، فبعث إلى أبي نواس: أنْ لا تُذِعْها ولك حكمك، فبعث إليه يقول: لو أعطيتني الدنيا مـــا كـــان بـــدٌّ مـــن إذاعتها، فاصبر على حرارة كَيِّها ، واعرف قدرك، فلمّا سمع جعفر شعر أبي نواس في اللاحقي قـــال: والله لقـــد قرَّفه بخمس خلال لا تقبله السفلة على واحدة منها، فكيف تقبله الملوك ؟ فقيل له: ياسيدنا إنّه كذب عليـــه . فتمثـــل يقول:

قـــد قيـــل ذلـــك إنْ حقًّـــا وإنْ كَـــذِباً ... فمـــا اعتـــذارك مـــن شـــيءٍ إذا قِـــيلا

وصار أبان بعد ذلك لأبي نواس كالعبد، لا يلقاه ولا يُذْكر له إلاّ يُجلّه(١٥).

إلاّ أنّه لا يوجد طرف فائز وطرف خاسر في قول الهجاء، فكلا الطرفين يكون خاســراً، ســواء أكــان الطرفان قويين أم ضعيفين، وسواء أكان أحدهما قويًّا والآخر ضعيفاً، فعلى الرغم من كثرة الأهاجي التي قالها أبو نواس في أبان اللاحقي، لم نرها تشتهر كالأبيات الثلاثة التي قالها أبان اللاحقي في أبي نواس، فقـــد ســـارت فـــي الدنيا بحسب قول ابن المعتز، يقول فيها:

أبـــو نـــواس بـــن هـــاني ... وأُمُّـــــــهُ جُلُّبـــــــانِ
والنّـــاسُ أفطـــنُ شـــيءٍ ... إلـــى حـــروفِ المعـــاني
إنْ زدتُ بيتـــاً علـــى ذي ... مـــا عـــشتُ فـــاقطع لـــساني(١٦)

إنّ أصلح نهج لدراسة الثيمة هذه – بحسب رؤيتنا – هي سبر أغوار المعاني الهجائية التي تناولها الشعراء في هجاء بعضهم، والتطرق إلى مضامين القول في أهاجيهم، والتي كثيرًا ما كان الغضب دافعاً رئيساً ومحرّكاً أساساً لها، إذ دفعهم الحقد الشخصي، وهاجس الانتقام إلى الإسراف كثيراً في الهجاء، حتى نالوا من الأعراض، وطعنوا في الأنساب، وقذفوا المحصنات، فضلاً عن السباب المتواصل وتوجيه الشتائم، حتى غدت قصائد بعضهم ومقطوعاتهم عبارة عن كتل كبيرة من الشتائم المليئة بالألفاظ البذيئة، فهم لم يراعوا حرمة اجتماعية، أو حرمة دينية أو أخلاقية، وكان ذلك كلّه بسبب إرضاء نفوسهم الغاضبة كما ذكرت.

وبما أنّني سأدرس المضمون هذا، لابدّ لي من حذف الألفاظ التي يُكره ذكرها ووضع نقاط محلّها، إذ يحتّم عليَّ ديني وخُلقي عدم ذكر تلك الألفاظ، وبإمكان المتقصّي مراجعتها في دواوين الشعراء ومجاميعهم الشعرية التي ستُذكر في الهوامش بحسب طبيعة المنهج المتعارف.

حين هجا أبو الشمقمق سلماً الخاسر طعنه في شرفه، ونال منه ؛ لأنّه تردّد في إعطائه مالاً مقابل عدم هجائه له، ممّا دعاه إلى القول مبالغاً في الهجاء:

**حَدَّثوني أنَّ سلماً    يَشْتكي جارَةَ .....**
**فهو لا يَحْسُدُ شيئاً    غيرَ ..... في ..... غَيرِهْ**
**وإذا سَرَّكَ يوماً    ياخَليلي نيلُ خَيرِهْ**
**قُمْ فمُرْ راهبَكَ الأصْلعَ يَقْرَعْ بابَ دَيرِهْ**(١٧)

وكرّر أبو الشمقمق الأمر نفسه مع بشار بن برد، وللسبب السابق نفسه، أقصدُ: عدم إعطائه من المال الذي يحصل عليه الشاعر تجنباً لهجائه، فضلاً عن هجاء بشّار له، ولذلك رمى أبو الشمقمق أمَّ بشار بالزنا في قوله"

**إنّي إذا ما شاعرٌ هجانَيهْ    ولجَّ في القول له لسانِيَهْ**
**أدخلته في .... أمّهْ علانِيَهْ    بشّارُ يابشّار ياابن الزانيَهْ**(١٨)

وعلى الرغم من أنّ أبا نواس لم يلتقِ بأبي الهندي، إلاّ أنّه وردت– في ديوانه– مقطوعة في هجائه، وربما تكون لشاعر غير أبي نواس، وفيها يحمد الشاعر الله (جلَّ وعلا)، ثم يبدأ بهجاء أبي الهندي، مدَّعيًا عليه بأنّه ابن زنا، قائلاً:

**الحمدُ للهِ العلي    ومَن له تزكو المحامدْ**
**أيسبُّني رجلٌ عليه من الخِزايةِ ألفُ شاهِدْ**
**هذا أبو الهندي فيه آيةٌ من غير واحدْ**
**ماذا أقولُ لمَن له    في كُلِّ عضوٍ منه والدْ**(١٩)

ولأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي قصيدة في هجاء سلم الخاسر، ينتهك فيها شـرفه، متّهماً إيّاه باللواط، من خلال الكنايتين في البيتين الأخيرين من قصيدته التي يقول فيها:

**رُبَّ مغمـومٍ بعافيـةٍ غَمَطَ النَّعماء من أشَرِهْ**
**مُوردٌ أمراً يُسَرّ به فرأى المكروهَ في صدرهْ**
**وامرئ طالتْ سلامته فرماه الدهرُ من غِيرهْ**
**بسهامٍ غير مُشوِيةٍ نقضَتْ منه قوى مِررهْ**
**وكذاك الدّهرُ منقَلِبٌ بالفتى حالين من عُصُرهْ**
**يخلِط العُسرى بمَيسَرةٍ ويَسارُ المرءِ في عُسُرهْ**
**عقَّ سَلمٌ أُمَّه سفهاً وأبا سلم على كبَرِهْ**
**كُلَّ يوم خلفَه رجلٌ رامحٌ يسعى على أثَرِهْ[٢٠]**

وفي مقطوعة الشاعر الأخرى، نراه يوجّه الهجاء فيها إلى أُمِّ الشاعر سلم الخاسر، فكان هجاؤه لها هجاءً فاحشاً، كلّه ألفاظ بذيئة، وذلك كله لكي ينال من الشاعر، فيرضي حقده عليه، من دون مراعاة للحال النفسية التي من الممكن أنْ تسوء لدى أم الشاعر، فضلاً عن الشاعر نفسه، فقد رماها بالزنا، ورمى ابنها الشاعر باللواط مرّة أخرى، إذ قال:

**أُمُّ سلْمٍ بذاك أعلمُ شيء إنّها تحت ..... لَضَرُوطُ**
**ولها تارةً إذا ما عَلاها أزْمَلٌ من وداقِها وأطِيطُ**
**أُمُّ سلْمٍ تُعلّم الشِّعرَ سَلْماً حَبَّذا شِعرُ أُمِّكَ المنقوطُ**
**ليت شِعري ما بالُ سَلم بن عمرو كاسفَ البالِ حين يُذكَر لُوطُ**
**لا يَصلِّي عليه فيمن يُصلّي بل لَهُ عندَ ذِكرِهِ تَثْبيطُ[٢١]**

كما أُولع الشاعر أبو سعد المخزومي بهجاء دعبل الخزاعي ؛ بسبب هجائه للكميت، واتّصف هجاء أبي سعد المخزومي له بفحشه وبذاءة ألفاظه، فهو –في أحد نصوصه– يقطع بأنّ مَن يهجو الكميت يكون ابن زانية ؛ كونه شاعراً ميتاً، فقال:

**وأعجبُ ما رأينا أو سمعنا هجاءٌ قالَه حيٌّ لميْتِ**
**وهذا دعبلٌ كَلِفٌ، مُعنّى بتسطير الأهاجي في الكُميتِ**
**وما يهجو الكميتَ وقد طواهُ الرَّدى، إلاّ ابن زانيةٍ بزيتِ[٢٢]**

وحين يحتوي الهجاء على السخرية التي تكون مدعاة لكسب ضحك الآخرين، يغدو الهجاء أشدّ وقعاً وإيلاماً للمهجو، فعلى الرغم من اشتمال هجاء أبي سعد المخزومي لدعبل على الألفاظ التي يَقْبُح ذكرها، إلاّ أنّه كان هجاءً قاسياً ؛ كونه جاء متضمِّناً السخرية الواضحة، كما في قوله:

**ولولا مَعَدّ وأيّامُها    وأنّهم السِّنْخُ والمنصلُ**

**لضاق الفضاء على أهله    ولم يَكُ ناسٌ ولا منزلُ**

**وزلزت الأرضُ زلزالها    وأدخِلَ في .... أُمّهِ دعبلُ**(٢٣)

فهو يفيد من قبيلة معدّ، ويتحدّث عن أصالتها لينقل الكلام إلى نهاية وجود العالم لولا وجودها، ثمّ يتدرج بالقول من أجل الوصول إلى هجاء دعبل الخزاعي، وهو أمر لم يتوقعه المتلقي، فضلاً عن أنّه أسلوب مميز في الهجاء ، ولاسيما أنّ الشاعر – فيه – استثمر قول الله (سبحانه وتعالى) في محكم كتابه العزيز : **﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾** (٢٤)، بوصفه دلالة على قيام الساعة.

ويستمر أسلوب الشاعر على الوتيرة نفسها في هجائه دعبلاً، فهو يهجوه في أيّة مناسبة تسنح له ؛ لينال منه بألفاظه البذيئة التي اعتادها في هجائه، كما في قوله موجِّهاً الخطاب لأحد الرجال:

**يا ثابت بن أبي سعيد إنّها    دولٌ وأحْرِ بها بأنْ تنقلا**

**هلا جعلتَ لها كحرمة دعبل    في....أم كلب لا يساوي دعبلا**(٢٥)

وقد تصل المبالغة في الهجاء إلى أعلى درجاتها، حتّى تجعل المستحيل أمراً قد يقع، ولاسيما مع دعبل الخزاعي، فضلاً عن السخرية المريرة التي أشاعها أبو سعد المخزومي في أبياته الآتية التي جعل فيها دعبلاً وكأنّه امرأة حُبلى، ليرمي – من وراء ذلك – إلى طعنه في شرفه وأخلاقه، إلى الدرجة التي يجعله فيها يحبل بمجرد مساس ثياب الشاعر الهجّاء له، قائلاً:

**لا والذي خلق الصّهباء من ذهب    والماءَ من فضّة لا سادَ من بخلا**

**يقول لي دعبل: في بطنه حبلٌ    ولو أصابت ثيابي دعبلا حبلا**

**ودعبلٌ رجلٌ ماشئت من رجل    لو كان أسفله من خلفه رجلا**(٢٦)

ولا يكتفي المخزومي بأنْ يجعل مهجوّه غير شريف في نفسه فحسب، بل ينقل قلة الغيرة وذهاب الحياء إلى عرضه وشرفه المتمثّل بزوجه، فيخبرنا بأنّه لا يصون عرضه، بل على العكس من ذلك، نراه يجلب زوجه لضيوفه، ويدخلها عليهم ؛ بقصد ارتكاب الفاحشة معها:

**لدعبلٍ نعمةٌ نمت بها    ليست له ما حييتُ أنساها**

**أدخلنا داره، وأكرمنا    ودسَّ امرأته ..... (٢٧)**

ومَن يُنعم النظر في النصوص الشعرية السابقة وفي غيرها سيعجب من الحال التي وصل إليها بعض الشعراء العباسيين من قلّة الحياء، ومن عدم الخوف من الله (سبحانه وتعالى) ، فهم لم يفكروا بمدى الألم الذي

يتسببونه لمهجوّيهم، ولا يهمهم إلاّ إرضاء أحقادهم، وإطفاء نار الغضب التي تعصف بهم، حتى وإنْ كان من خلال الطعن بشرف الآخرين وقذف المحصنات.

إنّ أكبر معضلة واجهتني في الدراسة هذه هي عدم استطاعتي تحليل النصوص الشعرية التي اتّخذت من الطعن في شرف الشعراء وأعراضهم موضوعاً رئيساً لها ؛ لشدّة بذاءة الصور التي احتوتها، فضلاً عن قلّة حياء الشعراء الذين سبروا أغوار المضمون هذا، ولذلك وجدتُ نفسي مُجبراً على التمثيل بالنماذج الشعرية، وتوضيح كلماتها التي تحتاج إلى التوضيح في الهوامش، مكتفياً بذلك لعدم استطاعتي تحليل الأبيات كما قلت.

فالشاعر مخلد بن بكار الموصليّ هجا أبا تمام بعد وفاته هجاءً لا يدلّ إلاّ على الحقد عليه، والحسد، والغضب من المكانة التي صار إليها، لذا نراه يلجأ إلى هتك الأعراض والنيل من الشرف والعِرض، وذلك واضح في هجائه في الأبيات الثلاثة التي غدت مسبّة وشتائماً أكثر من كونها شعراً، وفيها يقول:

**سَقَتْ حَتَارَكَ ياطائيُّ غادِيَةٌ ... من المَنِيِّ وقطْعانٌ من الكَمَرِ**

**فَنَوءُ جُرْدَانَ أشهَى لا أشُكُّ بهِ ... إلى حَتَارِكَ من نَوْءَينِ من مَطَرِ**

**حَرُّ الحُلاقِ وبَرْدُ الشِّعْرِ أتْلَفَهُ ... فجاءَهُ الموتُ من حَرٍّ ومن خَصَرِ**[٢٨]

ويبدو أنّ لجوء بعض الشعراء العباسيين إلى الشتائم وانتهاك الشرف لبعض الشعراء، ولاسيما الكبار منهم كأبي تمام والمتنبي مثلاً، كان بسبب عدم تمكّنهم من مجاراتهم في ناصية القريض، أو لأنهم لم يجدوا فيهم ما يعيبهم شخصياً ونفسياً، ولذلك اتخذوا من توجيه الشتائم والنيل من شرفهم طريقاً لهم يسيرون فيه من غير دليل أو هاد.

وحين ردَّ دعبل الخزاعي على هجاء أبي سعد المخزومي، كان ردُّه بمستوى ذلك الهجاء أو اشدّ منه قليلاً من ناحية الإفحاش في القول، ووصف مجون الشاعر المهجو، فهو بعد أنْ عدَّ أبا سعد المخزومي شيئاً غير مرئي ؛ دلالة على ضعته وقلّة شأنه، راح يتعجّب من عدم ولادته ؛ بسبب ما ذكره في قوله:

**ماكنتُ أحسَبُ أنّ الدَّهْرَ يُمْهِلُني ... حتّى أرى أحداً يَهْجُوهُ لا أحَدُ**

**إنِّي لأعْجَبُ مِمَّنْ في حَقِيبتِهِ ... مِنَ المَنِيِّ بُحُورٌ،كيفَ لا يَلِدُ؟!**[٢٩]

وتدفع شدّة الغضب دعبلاً، إلى هجاء أبي سعد المخزمي هجاءً أليماً جدًّا، وذلك حين عدّه مبالغاً في مجونه، وقليل الحياء ؛ بحيث لا يخجل من الأمور الفاحشة التي يقوم بها علناً، إذ يقول:

**يا (أبا سعدٍ) قوصَرَهْ ... زانيَ الأُخْتِ والمَرَهْ**

**لو تَراهُ مُجَبِّياً ... خلْتَهُ عَقْدَ قَنْطَرَهْ**

**أو ترى.... في.... قُلتَ: ساقٌ بِمقْطَرَهْ**

**أو تراهُ يَلوكُهُ ... قُلتَ: زبدٌ بِسُكَّرَهْ**

**أو تراهُ يَشمُّهُ ... قلتَ: مِسْكٌ بعَنْبَرَهْ**

أجَّـــج العَبْـــدُ نـــارَهُ وهْـــوَ للنّـــارِ كنْـــدُرَهْ
أبـــدَ الـــدَّهْرِ خلفَـــهُ فـــارِسٌ فـــي المُـــؤخَّرَهْ(٣٠)

نظم الشاعر قصيدته على بحر الخفيف، وعلى مجزوئه على وجه الدقة، ليصل الشاعر – من خلال خفة الوزن– إلى مراده من انتشار شعره بسهولة في هجاء أبي سعد المخزومي الذي ابتدأه بالهجاء، وبالمناسبة فان أكثر القصائد والمقطوعات التي نظمها الشعراء العباسيون في هجاء الشعراء الآخرين كانت منظومة على البحور الخفيفة في موسيقاها ؛ لسرعة حفظها من لدن المتلقين، ومن ثم يحقق الشعراء مراميهم في حفظها وانتشارها والنيل من مهجوّيهم، ومن تلك الأوزان: السريع، الرجز، الخفيف، الرمل، المنسرح، الهزج، المجتث، فضلاً عن النظم على البحور المجزوءة، سواء من البحور التي ذكرتها أو سواها.

وانتقم ابن الرومي من البحتري شرّ انتقام، لأنّه بدأه بالهجاء، إذ كتب قصيدة مؤلفة من ستة وثمانين بيتاً في هجائه، طعن – في مقطع منها – البحتري، ونال منه إرضاءً لغضبه، وسخر منه، كما هجا زوجه هجاءً مريراً، فقال:

أغـــرى الوليـــدَ بكيـــدي أنّـــه رجـــل يُريـــغُ....، ومـــالي فيـــه مـــن أربِ
قنـــاةُ حُـــشٍّ غـــدت ظلمـــاً تُكلفنـــي سَـــدِّي ببعـــضيَ مـــا فيهـــا مـــن الثُّقَـــبِ
فـــمٌ كمفـــسى، ومفـــسىً واســـعٌ كفـــم ومنخـــران قـــد اســـودّا مـــن الـــذَّببِ
أقـــولُ–إذ قـــال:....–كـــي أُحـــاجزَهُ: مَـــن....–ويحـــك– لـــم يُكـــرَم ولـــم يُهَـــبِ
فقـــال: كـــم مـــن... قـــد بَـــصُرت بـــه محـــيٍ مميـــت مرجَّـــى الغـــوثِ مرتقـــبِ
هـــذا الـــسنّان....فـــي.... أبـــداً وكـــم نقيـــذٍ بهاديـــه ومُـــشتعِبِ
لاشـــيء أهيـــبُ مـــن زُرقٍ مُؤَلّلـــةٍ وهُـــن يُـــنكحن بالأرمـــاحِ فـــي الجُنـــبِ
زُرقٌ....بـــسُمرٍ ذُبَّـــل أبـــداً وكلهـــنّ بريئـــات مـــن الـــسُّببِ
فقلـــتُ: لازلـــتَ مـــن غَـــي علـــى سَـــنن يُلقيـــك فيـــه، ومـــن رُشـــد علـــى نكـــبِ
فلـــستَ تنفـــكُّ محتجًّـــا لفاحـــشة شـــنعاء تركَـــب منهـــا شـــرَّ مرتَكـــبِ
ياعـــاهرَ الزوجـــةِ المخلـــوفَ فـــي... خِلافـــةَ الـــسوءِ،والمخلوفَ بالغَيَـــبِ(٣١)

برزت شخصية ابن الرومي قوية في هجائه، فهو قادر على إيلام مهجوّه، وجعله يتلظى تحت نيران شعره، فقد تهيأت له " **مؤهلات للهجاء نادرة، من قدرة على التهكم، وبراعة في الخيال لإبداع الصور المضحكة اللاذعة، ودقة في التصوير، تتناول القبح في أخفى مظاهره، وتعرضه في أمانة تفضح عيوبه بجلاء، وقد اسرف ابن الرومي في الفحش في هجائه وبسط لسانه بسطاً بذيئاً في أعراض مهجويّه، أيًّا كانوا ، في غير ما**

**تحرُّج، ولم يجد في عصره ما يحدّ إسرافه في هذا المجال، فأتى بأشنع من كلّ ما أتى به شعراء الهجاء** " [٣٢]، في عصره وهجاؤه للبحتري خير مثال على ذلك.

وفي الوقت الذي خصّص فيه ابن الرومي بيتاً واحداً من قصيدته لهجاء امرأة البحتري، نجد السَّريَّ الرَّفّاء يكتب مقطوعة كاملة في هجاء امرأة الخالدي، تتألف من أربعة أبيات، يتهمها فيها بخيانة زوجها في كلّ يوم تقريباً، فهي تفضّل الفتى الجميل على زوجها الذي غدا وكأنه التابوت الذي يوضع فيه ميت النصارى (الناووس) كناية عن قذارته ونتن رائحته، فضلاً عن أنّها تفضّل الطاووس على طير (الرخم) المعروف بغدره، وفي البيت الأخير من مقطوعة الشاعر، نشعر أنّه يعذرها على خيانته من خلال الاستفهام الإنكاري، الذي يفيد تعبيس وجه المهجو، في الوقت الذي ترى فيه زوجه الوجوه الجميلة والمستبشرة، وبذلك يكون الهجاء أشدّ ألماً للشاعر ؛ كونه جاء من خلال امرأته، لذا لم يوجهه الشاعر إليه مباشرة، حين قال في هجاء زوجه:

**بُؤْساً لعُرسِ الخالِديِّ بُوسا ... أكُلَّ يومٍ تَغْتَدِي عَرُوسا**

**خَلَّتْهُ واعتاضَتْ فَتًى نفِيسا ... وفارَقَتْ مِن نَتْنِه ناوُوسا**

**فَصادَفَتْ ربْعَ هَوًى مأنُوسا ... وبَدَّلَتْ مِن رَخَمٍ طاوُوسا**

**وكيفَ تَهوى وَجْهَهُ العَبُوسا ... وهيَ تَرى القمارَ والشُّمُوسا**[٣٣]

ويأتي الهجاء للنَّسَب الذي ينتمي إليه الشاعر، والطعن فيه، بوصفه جزءاً لا يتجزأ من انتهاك الحرمات، وقذف المحصنات في كثير من النماذج الشعرية التي تداولتها أقلام الشعراء أو ألسنتهم، فهم في طعنهم لنسب الشاعر، ينالون من عرضه، وينتهكون حرمته، باستثناء بعض النصوص التي كانوا يردّون بها على بعض الشعراء ممّن يدَّعون النسب العربي، وهم منه براء، بحسب رؤية الشعراء الهجائين، فأبو نواس مثلاً حين يهجو أشجع السلمي، يجعل نسبه في (سليمٍ) كالواو التي أُلصقت ظلماً بعمروٍ، وبذلك يفيد من التشبيه في إخراجه من تلك القبيلة، إذ يقول:

**قُل لِمَن يدَّعي سُليمى سَفاها ... لستَ منها ولا قُلامةَ ظُفْرِ**

**إنّما أنتَ في سُليمٍ كواو ... أُلصقتْ في الهجاء ظُلماً بعمرِو**[٣٤]

وكان هجاء مخلد بن بكار الموصليّ لأبي تمام – حين دخل الموصل – هجاء فكاهيًّا مليئاً بالهزل، ولم يكن بدافع الثأر أو الحقد الشخصي، فقد توجّه إلى نسب أبي تمام ساخراً منه، مخبراً إيّاه بأنّك عندي عربي أصيل، وليس هنالك كلام في ذلك، فأنت منسوب إلى جبل (أجأ) الذي كانت قبيلة طي تسكن بينه وبين جبل (سلمى)، ثم بدأ يعبث بخلقه بأسلوب المبالغة الغريبة الساخرة ليتوصل إلى هجائه بالنسب الذي يدّعيه من طريق الفكاهة، فيقول له: إنّ شعر فخذيك نبات الخزامى والثمام، وضلوع صدرك كالسهام وشجر البشام الطيب الرائحة، وقذى عينيك كالصمغ، وشعر ناصيتك كنبت الثغام، وأنت – بالخلقة العجيبة هذه – لو تحرَّكْتَ لخافت منك النعام والظباء واليرابيع، ثم ما ذنبي إذا خالفني الناس فيما قلته وأتت منك صفات نبطيّات لئيمة، وقفاك دون وجهك لا يدلّ على عراقة في أصلك . ثم قالوا : إنك نبطي تُنسَبُ إلى قرية جاسم، لقد كذبوا ما أنت إلاّ عربي أبيّ، بيتك في جبل

سلمى، وحوله أشجار تستظلّ بها الظباء، ولك من إرث آبائك قِسِيٌّ وسهام ونخيل دنا قطوفها، وأنت عندي عربي والسلام . ولاشكّ في أنّ الأسلوب الهازل هذا أشدّ على النفس من الاقذاع والفحش الذي تعافه النفس ويمجّه الذوق[٣٥]، والقصيدة تتألف من ستة عشر بيتاً، يقول فيها:

أنتَ عندي عربيُّ الأصْلِ ما فيكَ كلامُ
عربيٌّ عربيٌّ أجَأيٌّ ما تُرامُ
شَعْرُ فُخذيكَ وساقَيكَ خُزامى وثمامُ
وضلوع الشِّلْوِ من صَدْ رِكَ نَبْعٌ وبَشامُ
وقَذى عَينَيكَ صَمْغٌ ونَواصيكَ ثَغامُ
لو تحرّكت كذا لإنْ جَفَلَتْ منكَ نَعامُ
وظِباءٌ مُخْصِباتٌ ويَرابيعُ عِظامُ
أنا ما ذَنْبي إنْ خا لَفَني فيكَ الأنامُ؟
وأتَتْ منكَ سَجايا نَبَطيّاتٌ لِئامُ
وقَفاً يَحْلِفُ أنْ ما عَرَّقَتْ فيكَ الكِرامُ
ثم قالوا: جاسِميٌّ من بَني الأنباطِ خامُ
كَذَبُوا ، ما أنتَ إلاّ عَربيٌّ ما تُضامُ
بيتُهُ ما بين سَلْمَى وحَوَالَيهِ سِلامُ
ولهُ من إرْثِ آبا ءٍ قِسِيٌّ وسِهامُ
ونخيلٌ باسِقاتٌ قد دنا منها صِرامُ
أنتَ عندي عربيٌّ عَرَبيٌّ والسَّلامُ[٣٦]

وفي قصيدته الأخرى التي تتكون من ثلاثة عشر بيتاً، بدأ بوصف حال الأعرابي في البادية ومأكله ومشربه وحياته الخشنة فيقول له: لو اختطفت وَبْرَةً – وهي دويبة على قدر السنّور – واختطفت ظبًّا، ومصصت اليَرْبُوع نيًّا صُلباً والحنظل غَضًّا رطباً، ولم تذق ماءً بارداً عذباً . وبُلْتَ بولَ جمل هبَّ للسفاد، ولم تطلب من المال غير الإبل، ثم قعدت القُرفصاء منكبًّا كأعرابي الصحراء، ولم تدخل إيواناً في دار لأنّ الأعرابي يحب الصحراء الواسعة ويكرب نفسه سكنُ الدور. ولو نكحت بالشّام من العرب الكرام: حمْيراً وكَلباً وقيسَ عَيْلاَنَ، حيث لها الأمرُ والنهي لا حيث النسب الجديد يصبح عبداً ويمسي سيِّداً . ثم اتخذت صنم اللات – إشارة إلى اتّهامه بالكفر– فينا ربًّا ، وصرت تتعاظم في لغتك فتقول للقُطن عُطْباً – وهو القطن نفسه – وتقول للحمار البليد

جملاً ضخماً . فأنت لو قمت بهذا كلّه ما كنت إلاّ نَبَطِيًّا من أنباط الشام، ينقُر الصّخر ليسيح الماء فيشرب النبات وينبت الحبّ والشجر، وبذلك هيّجتَ منّي شاعراً ثابتاً يُدير في فمه سيفاً قاطعاً، وهو مدَّاحٌ شتّامٌ يقطع أعراض اللئام قطعاً (٣٧)، يقول:

لو امْتَخَطْتَ وَبْرَةً وظَبَّا ... وامْتَشَّتَ اليَرْبُوعَ نيًّا صُلْبا
وامْتَصَّتَ الحَنْظَلَ غَضًّا رَطْباً ... ولم تَذُقْ ماءً نُقاخاً عَذْبا
وبُلْتَ بَولَ جَمَلٍ قد هَبَّا ... ولم تَرُمْ إلاّ الجِمالَ كَسْبا
ثُمَّ قَعَدْتَ القُرْفُصا مُنْكبَّا ... تَحْكِي عَرابِيَّ فَلاةٍ قَلْبا
إنْ دَخَلَ الإيوانَ صاحَ الكَرْبا ... حَتّى يَحُلَّ جَعْجَعاناً رَحْبا
ولو نَكَحْتَ حِمْيَراً وكَلْبا ... وقَيسَ عَيلانَ الكِرامَ الغُلْبا
بالشّامِ حيثُ زَجرُها يُلَبَّى ... لا حيثُ أضحى النَّسَبَ المُرَبَّى
يُصبِحُ عَبْداً ويروحُ رَبَّا ... ثم اتّخذتَ اللاتَ فينا رَبّا
ولم تُسَمِّ القُطْنَ إلاّ عُطْبا ... وقلتَ للعَيْرِ البليدِ حَوْبَا
ما كُنْتَ إلاّ نَبَطِيًّا قَلْبا ... ولو نَقَرِ الصَّخْرَ أفاضَ غَرْبا
حتى يُسيحَ للنباتِ شِرْبا ... ويُنْبِتَ الحَبَّ به والقَضْبا
هَيَّجْتَ منّي شاعراً أرَبّا ... يُديرُ في فيه حُساماً عَضْبا
مُهَنَّداً مَدَّاحةً مِسَبَّا ... يَلْحَبُ أعراضَ اللئامِ لَحْبَا(٣٨)

أخرج الشاعر مهجوّه أبا تمام من قبيلة (طيء) في قصيدتيه السابقتين، وقد جاءتا بشكل فكاهي غاية في السخرية، غير أنّه (الشاعر مخلد بن بكار الموصليّ) جعل مهجوه أبا تمّام – في مقطوعة أخرى – خائفاً من سماعه حرف الطاء ؛ لأنه الحرف الأول من كلمة (طيء) ، فإذا ما ذُكِرَت الطاء على بعد فرسخ فان النور سيظلم في ناظرَي أبي تمام ، في إشارة صريحة إلى عدم انتمائه إلى تلك القبيلة –بحسب رؤية الشاعر – فضلاً عن رميه له بالعيوب النفسية والجسدية في مقطوعته هذه، إذ جعله فيها خبيثاً، ولئيماً، فضلاً عن نحافة جسمه، قائلاً:

أُنظُر إليه والى خُبْثِه ... كيفَ تَطايا وهو منشُورُ
ثم على طاقٍ شخيتِ القُوى ... نِسْبَتُهُ واللّؤمُ مَضْفُورُ
وَيْلَكَ مَن دَلاّكَ في نِسْبةٍ ... قلبُكَ منها الدَّهْرَ مَذْعُورُ
لو ذُكِرَتْ طاءٌ على فَرْسَخٍ ... أظلمَ في ناظِرِكَ النُّورُ(٣٩)

ويفيد دعبل الخزاعي من كنية الشاعر أبي سعد المخزومي، فيستثمرها في هجائه، فيرى أنّه إنّما يُعْرَفُ بكنيته لأنّه يجهل أباه، ولذلك لا يُعرَفُ به على عادة العرب في التسمية، وهو يظلّ يبحث عن والده، ممّا اضطرّ دعبلاً إلى الدعاء بالرحمة لمَنْ يرشد مهجوه الفاقد إلى والده المفقود، ممّا يؤكّد عدم معرفة مهجوّه بنسبه الحقيقي، فيقول:

**إنّ أبا سَعْدٍ فَتًى شاعرٌ　　　يُعْرَفُ بالكُنْيَةِ لا الوالِدِ**

**يَنْشُدُ في حيٍّ (مَعَدٍّ) أبًا　　　ضَلَّ عن المَنْشُودِ والنّاشِدِ**

**فرحمةُ اللهِ على مُسْلِمٍ　　　أرشَدَ مفقُوداً إلى فاقِدِ**[٤٠]

ويبدو أنّ بني مخزوم خافوا لسان دعبل، فتبرؤوا من أبي سعد ونفوه عن نسبهم، ممّا دعا دعبلاً إلى الإفادة من الكتاب الذي كتبته قبيلته في نفيه عنهم، فوجّه هجاءه الذي يحمل المعنى هذا في بيت وحيد قال فيه:

**هُمُ كَتَبُوا الصَّكَّ الذي قد علِمْتَهُ　　　عَلَيكَ،وسَنُّوا فوقَ هامَتِكَ الفَقْرا**[٤١]

إلاّ أنّ دعبلاً الخزاعي لم يكتفِ بالبيت السابق في هجائه ببراءة قومه منه، ونفيه عن نسبهم، بل نظم أبياتاً أُخر في تلك البراءة التي جعلت أبا سعد المخزومي يستحي منها، حتى غدا نفاية بحسب قول الشاعر فيه:

**غَيرَ أنَّ الصِّيِّدَ منهُمْ　　　قَنَّعُوهُ بِخَزايَهْ**

**كَتَبُوا الصَّكَّ عليهِ　　　فهو بينَ النّاسِ آيَهْ**

**فإذا أقبَلَ يوماً　　　قيلَ: قدْ جاءَ النُّفايَهْ**[٤٢]

أمّا هجاء دعبل لمروان بن أبي حفصة في الطعن بالنسب، فانه يتّخذ منحًى آخر غير الذي سبق الحديث عنه، كونه يرتبط بقضية عقيدية مذهبية، فمروان بن أبي حفصة ارتبط بشدّة بالبيت العباسي، مُفَضِّلاً إيّاهم – في شعره الذي مدحهم فيه – على العلويين، الأمر الذي أثار سخط دعبل الخزاعي عليه ؛ كون الأخير يمثّل التيّار المضاد تماماً للعباسيين كما هو معروف لدى الجميع، وللسبب هذا جاءت قسوة دعبل واضحة في هجائه لمروان بن أبي حفصة ، إذ اتّهم والدته بكثرة الزنا، الذي يعني عدم انتساب الشاعر المهجو –بسب حال أُمّه – إلى نسب واضح وصحيح ومعروف، وهذا فعلاً ما قاله الشاعر الهجّاء فيه، من خلال توجيهه لسؤال إنكاري له، يسأله فيه عن مذمّته لآل بيت النبي (عليه وعليهم أفضل السلام والتسليم)، مع أنّه فاسد النسب:

**قُلْ لابنِ خائنَةِ البُعُولِ　　　وابنِ الجَوادَةِ والبَخيلِ**

**إنّ المذَمَّةَ لِلوصيْ　　　يِ هي المذَمَّةُ للرَّسُولِ**

**أمَوَدَّةُ القُرْبى تُحا　　　ولُها بذَمٍّ مُسْتَحيلِ؟**

**أتَذُمُّ أولادَ النَّبِيْ　　　يِ وأنتَ مِن وَلَدِ النُّغُولِ؟**[٤٣]

ونجد المعنى نفسه لدى الشاعر ابن المعتز، مع أنّه أحد المنتسبين للبيت العباسي، فهو حين يهجو الشاعر (ابن بسّام) يجعل شعره هاجياً له ؛ كونه وجَّهه لهجاء الإمام علي عليه السلام، فلو كان الشاعر المهجو ينتمي لأبيه فعلاً لما هجاه، الأمر الذي يدلّ – من جانب آخر – على عدم انتسابه إلى والده حقيقة، وهذا هو المعنى نفسه الذي طرقه دعبل الخزاعي قبل ابن المعتز الذي يقول في عدم صحّة نسب الشاعر ابن بسّام:

**مَن رامَ هَجْوَ عَلِيٍّ فشعرُهُ قد هجاهُ**

**لو أنَّهُ لأبيهِ ما كانَ يهجو أباهُ(٤٤)**

وحين طعن الشاعر علي بن محمد الحماني في نسب الشاعر علي بن الجهم، كان دافعه – في ذلك – نصرة مذهبه المنتمي للعلويين، ممّا يعني أنه الدافع نفسه الذي انطلق منه دعبل الخزاعي تجاه مروان بن أبي حفصة، فعلي بن الجهم من شعراء البيت العباسي أيضاً، مدحهم ونال رضاهم وعطاياهم، ففضّلهم على العلويين، وعدَّهم الأَولَى بالخلافة منهم كما فعل مروان بن أبي حفصة من قبله، ممّا أثار حفيظة الشاعر الحماني المعروف بولائه الكبير للعلويين وحبّه الشديد لهم، لذا جاء هجاؤه لعلي بن الجهم نابعاً من ذلك الصراع الذي بات أزليًّا، وخلاصة طعن الشاعر الحماني في نسب ابن الجهم هي أنّه مهما حاول الأخير (المهجو) من وسائل تؤكّد صلته بقريش، فأنّه لن يزداد إلاّ بعداً منهم، فهو لا ينتمي لهم ، بل إلى (مقصلة بن هُبيرة الشيباني) الذي كان عامل الإمام علي عليه السلام على (أردشير خُرّة)، فخان الإمام في مال ولحق بمعاوية بن أبي سفيان، فيقول الحماني في ذلك:

**لو اكتنفتَ النَّضرَ أو معدّا**

**أو اتّخذتَ البيتَ كهفاً مهدا**

**وزَمزَماً شريعةً وَوِردا**

**والأخشبَيْنِ مَحْضراً ومَبدى**

**ما ازددتَ إلاّ من قريشٍ بُعدا**

**أو كنتَ إلاّ مَصقَليًّا وَغدا(٤٥)**

وبعيداً عن انتهاك الحرمات والأعراض والهجاء في شرف الشعراء والطعن في أنسابهم بدوافع متعددة ومختلفة، وجدنا أنّ السباب وتوجيه الشتائم كان من المعاني البارزة في قصائد الشعراء الهجائين ومقطوعاتهم، التي نظموها في هجاء بعضهم، فهم ينالون من خصومهم الشعراء الآخرين من طريق الحطّ من أقدارهم بوساطة ذلك السباب وتلك الشتائم، التي توجّهوا بها بدافع الغضب أو الحقد أو الحسد والغيرة كما هو واضح لدى كثير منهم، مثل يزيد المهلبي الذي هجا الشاعر عبد الصمد بن المعذّل ووصفه بالكلب الذي ينبحه، في كناية عن حديثه بالسوء عنه، ثمّ يعدّه غير موجود ؛ فهو لا يدلّل على حضوره، إذ لم يره الرائي، ولم يسمعه السامع، ومن ثمّ يدل ذلك على عدم كفاءته وعدم وصوله إلى مستوى الشاعر الهاجي، الأمر الذي دعاه إلى الحلم عمّن هم دونه في المستوى، طالباً – في الوقت نفسه– ترك شتمه؛ كونه ليس أهلاً للردّ عليه:

نُبئــــتُ كلبـــاً هـــابَ رَميـــي لــــه ينبحُنـــــي مـــــن موضــــعٍ نــــائي
لـــو كنــتَ مـــن شـــيءٍ هجونـــاكَ أو لــــــو بنــــــتَ للــــسّامعِ والرّائــــــي
فَعَـــدٍّ عـــن شـــتمي فـــإنّي امـــرؤٌ حلَّمَنــــــــي قِلَّـــــــةُ أكفــــــائي[٤٦]

وللشاعر أحمد بن أبي طاهر بيت هجا فيه البحتري، شبّهه فيه بالكلب أيضاً، مدَّعيّا فيه أنّه تغلّب عليه في الهجاء، فقد قتله فيه، يقول:

قـــــد قتلنــــاكَ بالهجـــــاء ولكنْـــــــ نَـــكَ كلـــبٌ قـــد التَـــوَى ذَنَبُـــهْ[٤٧]

ويرى حنا الفاخوري أنّ هجاء البحتري كان ضعيفاً بمجمله، إذ يذهب الشاعر إلى مجرد حشد التعبيرات البذيئة في غير أصالة ولا فن[٤٨]، ونحن إذ لا نتفق مع الفاخوري في رأيه عن مجمل شعر الهجاء لدى البحتري ؛ فقد كان متمكناً من فن الهجاء في كثير من قصائده ومقطوعاته التي ليس هنا مجال الحديث عنها، إلاّ أنّنا نتفق مـــع رأيه هذا بخصوص بعض شعره الهجائي، الذي منه قصيدة تتألف من ثمانية أبيات في هجاء الـشاعر علـــي بـــن الجهم، لم يأتِ فيها سوى بالسباب وتوجيه الشتائم والدعاء عليه، من دون أيّة صور فنية تُذكر ، فلم يترك منقـصة أو أمراً رديئاً إلاّ وألصقه بمهجوّه الذي قال فيه:

يـــــاثقيلاً علــــى القلـــوب إذا عنْـــــــ نَ لهــــا أيقَنَـــــتْ بطُــــولِ الجِهـــــادِ
ياقَـــــذًى فــــي العُيُونِ،ياغُلَّــــة بَيـــــ ـــنَ التّراقـــي حَــــزَّازةً فـــي الفـــؤادِ
يـــــاطُلوع العَـــــدُو،ما بـــين إلْـــفٍ، ياغَريمــــــــاً أتـــــى علــــى ميعـــــادِ
يـــارُكوداً فـــي يـــومِ غَـــيمٍ وصَـــيفٍ، يـــــاوُجُوهَ التّجـــــارِ يـــــومَ الكَـــــسَادِ
خَـــلِّ عنّــــا فإنّمــــا أنــــتَ فينــــا واوُ (عَمْــــرو)أو كالحــــديث المُعــــادِ
إمْضِ فــي غَيــرِ صُــحْبَةِ اللهِ مــا عِــشْـــ ـــتَ مُلَقًّــى فـــي كُـــلِّ فَـــجٍّ وَوَادِ
يَتَخطّـــى بـــك المَهامِــــهَ والبيـــــ ـــد دَليـــلٌ أعمــــى كثيــــرُ الرُّقـــادِ
خلْفَـــكَ الثـــائرُ المُــــصَمِّمُ بالـــسَّيــ ـــف ورِجْـــلاكَ فـــوقَ شَـــوْكِ القَتَـــادِ[٤٩]

كان الشاعر ابن لنكك البصري مدفوعاً بعوامل الحسد والغيرة من المكانة التي حقّقها أبو الطيب المتنبي، وللأسباب هذه نراه قد أكثر من هجائه إيّاه هجاء كله سباب وشتائم، في محاولة منه ربما لإغرائه بمهجـوه علـى عادة الشعراء الذين سبقوه، لكي يشتهر على حسابه، في حال ردِّه عليه، ولكن المتنبي شاعر ذكي، فلم يهجه هو أو غيره، واكتفى بقوله فيهم جميعاً:

أرى المُتَـــشاعِرينَ غَــــرُوا بِــــذَمّي ومَـــــن ذا يَحْمَـــــدُ الــــدَّاءَ العُــــضَالا
ومَــــنْ يَـــكُ ذا فَـــمٍ مُـــرٍّ مَـــرِيضٍ يَجْـــدِ مُـــرًّا بـــهِ المـــاءَ الـــزُّلالا[٥٠]

ويبدو أنّ تجاهل المتنبي للشعراء الذين ابتدأوه بالهجاء، كان السبب الأساس لإكثار السباب والشتائم الشعرية من لدن ابن لنكك البصري، فهو – في بيتين له– يسخر من المتنبي ومن طريقة لبسه للقلنسوة الطويلة، ويتساءل تساؤلاً إنكاريًّا عمّا إذا كان بإمكانه أنْ يجعل الشَّعْرَ الذي صُنِعَتْ منه تلك القلنسوة من الحيوان الذي يُدعى (السمور) ، علماً أنّه وجّه خطابه إلى الشاعر مباشرة في البيت الأول، ثم التفت في بيته الثاني فخاطبه خطاب الغائب، قائلاً:

**قل لي وطرطورك هذا الذي ... في غاية الحسن شوابيره**

**ما ضرّه إذ جاء فصل الشتا ... لو أنّ شعر.... سموره[٥١]**

وابن لنكك البصري لا يكتفي بهجاء المتنبي ، بل نراه يتجاوز في هجائه على كلّ من آثرَ الشاعرَ وقدَّمه، طالباً منهم تزويجه من أمّهاتهم، ثم نراه –بعد ذلك– يوجّه هجاءه البذيئ إلى الشاعر، مدَّعيًا أنّ نعال سكّان بغداد تزدحم في قفا الشاعر، في كناية عن عدم تقبّلهم له ولشعره، وهو أمرٌ مرفوض جملة وتفصيلاً، ولا يتعدّى كونه كلام شاعر حاقد، قال:

**قولا لأهل زمان لا خلاق لهم ... ضلّوا عن الرشد من جهل بهم وعموا**

**أعطيتم (المتنبي) فوق منيته ... فزوّجوه برغم أمّهاتكم**

**لكن بغداد جاد الغيث ساكنها ... نعالهم في قفا السقّاء تزدحمُ[٥٢]**

ويتعدّى الهجاء بتوجيه الشتائم إلى الطعن بشرف الشاعر، إذ يعدّه ابن لنكك قد جمع أمواله بسبب بذله شرفه، وهو – فضلاً عن ذلك – يستعين بأيّة رواية ضعيفة، ليستشعرها في هجائه، كما في تهمة ادّعاء النبوة التي أُلصقت بالمتنبي، ليهجوه بها بوساطة الأسلوب الساخر، إذ يقول: لو كان المتنبي نبيًّا، فهذا يعني أنّ كبير الأساقفة (الجاثليق) هو الإله، قائلاً:

**ما أوقحَ المتنبي ... فيما حكى وادّعاه**

**أبيح مالاً عظيماً ... حتى أباح قفاه**

**ياسائلي عن غناه ... من ذاك كان غناه**

**إنْ كان ذاك نبيًّا ... فالجاثليق إله [٥٣]**

ولا يصدر ابن لنكك البصري في هجائه للمتنبي عن الواقع، بل يجعل من نفسه أضحوكة في بعض هجائه للشاعر الفذّ، فيغدو وكأنّه يهجو نفسه في بعض ما قاله فيه، فعظمة المتنبي الشعرية لا ينكرها أعداؤه، فضلاً عن محبّيه وعشّاق شعره، لكن ماذا فعل البصري في هجائه إيّاه ؟ ادّعى أنّ الشعر الذي يقوله المتنبي إنّما يُوحى له من مكان قضاء الحاجة، ثم لا ينطق إلاّ بما هو أصلح له وليس لأبي الطيّب، فيقول مغالطاً نفسه:

**متنبيكُم ابنُ سقّاء كوفا ... ن ويُوحى من الكنيف إليه**

كـــان مِـــن فِيـــه يـــسلح الـــشعر حتـــى    ســـــلحت فقحـــــة الزمـــــان عليـــــه(٥٤)

وكما قلت في السابق، إنّ بعض الشعراء الهجائين لم يجدوا في مهجوّيهم ما يشينهم شخصيًّا، أو ما يعيب شعرهم، لينالوا منهم فيه، فلجأوا إلى توجيه السباب والشتائم بما هو ليس حقيقياً أو واقعيًّا، ممّـــا جعلهـــم ســـخرية للمتلقين، في الوقت الذي احتفظ فيه الشعراء المهجوون بمكاناتهم المرموقة على الرغم من حاســـديهم والحاقـــدين عليهم كما هو الحال مع أبي تمام ودعبل الخزاعي وأبي الطيّب المتنبي، وغيرهم من الشعراء الكبار.

وانحدر بعض الشعراء العباسيين إلى ادني المستويات، وذلك حين اتخذوا من العيوب الجـــسدية – التـــي أُبتلي بها بعض الشعراء – مضامين رئيسة للهجاء، ومن المعروف أنّها ليست بقوّة الهجاء بالعيوب النفـــسية التـــي تناولها بعض الشعراء الآخرين موضوعاً لأهاجيهم كما سنرى أيضاً.

لقد عدّ الشاعر أبو الشمقمق لحية الشاعر مروان بن أبي حفصة من العيوب الجسدية، فهجاه بها بأســـلوب فكاهي ساخر، فضلاً عن تضمينه الألفاظ البذيئة التي لا يرغب المتلقون في سماعها، وخلاصة هجائـــه أنّـــه فـــي البيت الأول نجد الرائحة الطيبة التي تفوح من لحية الشاعر، التي سرعان ما تتحوّل في البيت الثاني إلـــى رائحـــة كريهة تشمئز النفوس منها، يقول:

لحيــــــة مَـــــروانَ تَقِـــــي عنبـــــرا    خـــــالطَ مـــــسكاً خالـــــصاً أذْفَـــــرا

فمـــــا يُقيمـــــانِ بهـــــا ســـــاعةً    إلاّ يعـــــودانِ جميعـــــاً خـــــرا(٥٥)

ويتخذ الشاعر نفسه من عمى الشاعر بشار بن برد مضموناً رئيساً في هجائه لـــه، فـــي محاولـــة منـــه للحصول على مكاسب مالية، فيهجوه بأسلوب بسيط ؛ لسهولة البحر الذي نظم عليه، ألاَ وهـــو مجـــزوء الرمـــل، فيقول:

هَلِّلينَـــــــــــــه هللينـــــــــــــهْ    طعـــــــــــن قثّـــــــــــاةٍ لتينَـــــــــــهْ

إنّ بــــــــــشّارَ بـــــــــن بُـــــــــرْدٍ    تَـــــيسٌ أعمـــــى فـــــي سَـــــفينَهْ(٥٦)

ويكرر الصورة نفسها في مناسبة مختلفة، وبالعيب الجسدي نفسه (العمى)، وبالوزن الشعري السابق نفسه أيضاً، ممّا يؤكّد انحدار مستوى الشاعر المعنوي والفني، إذ يقول مكرراً ما قاله سابقاً:

ســـــــبعُ جَـــــــوْزاتٍ وتينـــــــهْ    فتحـــــــوا بـــــــابَ المدينَـــــــهْ

إنَّ بــــــــشّارَ بـــــــن بُـــــــردِ    تَـــــيسٌ أعمـــــى فـــــي سَـــــفينَهْ(٥٧)

وعُرِفَ أبو تمام بوجود الحُسبة في لسانه، ولاسيما في أول نطقه، والحُسبة عيب في اللـــسان، وتُعـــرف أيضاً بـــ(التمتمة)، لذا أفاد الشاعر مخلد بن بكار الموصلي من عيبه هذا، فحوّله مضموناً مهماً في هجائه، فهجـــاه في بيتين، بدا فيهما كأنه يمدحه في بدايتهما، ولكنه التفت في عجز البيت الثاني لهجائه، مفيداً بأنّ أبـــا تمـــام مـــن أشعر الشعراء بشرط ألاّ يتكّلم، في إشارة إلى العيب الجسدي في لسانه، قائلاً:

يـــــانبيَّ اللهِ فـــــي الـــــشِّعْـــــرِ    وياعيـــــسى بـــــنُ مَـــــرْيَمْ

**أنـــتَ مـــن أشـــعر خَلْـــق اللَّـــ ـــــــه مـــــالمْ تَــــتَكَلَّمْ**(٥٨)

وتختلف مضامين الهجاء بالعيوب الجسدية من شاعر إلى آخر، ومصدر الاختلاف يكمن في اختلاف تلك العيوب، فحينما لا يتحلّى الإنسان بجمال الوجه، أو حين يكون منظره ليس كما يرغب فيه الآخرون، فان ذلك يعــدُّ – لدى بعض الشعراء– من العيوب الجسدية، فيتخذونه موضوعاً لأهاجيهم في بعض الشعراء، ومنهم الشاعر أبــو علي البصري في هجائه للشاعر أبي هفّان، إذ ادّعى أنّه في خلقة الشيطان ؛ لبشاعة وجهه، إلــى الدرجــة التــي عُرِفَ فيها؛ بحيث غدا معروفاً لدى الجميع، فلا يمتلك تلك المواصفات إلاّ الشاعر أبو هفّان، وهذا ما ورد في قول الشاعر الهجّاء أبي علي البصير:

**لـــي صَـــديقٌ فـــي خِلْقــةِ الــشّيطانِ وعُقـــــولِ النِّـــــساءِ والـــــصِّبيانِ**

**مَـــنْ تَظنونَـــهُ ؟ فقـــالوا جميعـــاً: لـــيس هـــذا إلاّ أبـــا هفّـــانِ**(٥٩)

والصورة السابقة نفسها تتكرر لدى شاعر آخر في هجاء شاعر مختلف، فالمعنى نفسه طرحه ابن بــسّام في هجائه للشاعر المعروف بـــ(جحظة البرمكي)، إذ قال فيه:

**لجَحظـــةَ المُحـــسنِ عنـــدي يـــدٌ أشــــكرها منـــــهُ إلـــى الحَـــشْرِ**

**لَمَّـــا أرانـــي وَجْـــهَ بِرْذَونِـــه وصـــانَني عَـــن وَجْهِـــهِ المُنْكَـــرِ**(٦٠)

ويُضيف الشاعر المعروف بـــ(الحمدوي) صفة جحوظ العينين إلى قبح منظر الوجه، وذلك فــي هجائــه للجاحظ، فقد استثمر المضمونين ليبالغ في هجائه للجاحظ، إذ جعله أقبح منظراً من الخنزير، فضلاً عن أنّ وجهــه بمثابة الجحيم لدى الناظر له، يقول:

**لـــو يُمْـــسَخُ الخنزيـــرُ مـــسخاً ثانيـــاً لرأيتـــه فـــي دون قـــبح الجـــاحظ**

**رجـل ينـوب عـن الجحـيم بوجهـه وهـــو العـــدو لكـــل عـــين لاحـــظ**

**ولـــو أنّ مـــرآة جلـــت تمثالـــه ورآه كـــان لـــه كـــأعظم واعـــظ**(٦١)

وكان هجاء ابن الرومي للبحتري شديداً ومؤلماً، إذ انتقد شكله ووجهه، وانتقد لحيته كذلك ؛ بسبب طولها ؛ بحيث لا يكفيها ألف موس لحلاقتها والتخلص منها، كما انتقده بأمور أُخَر خارجة عن العيوب الجسدية، قائلاً:

**ولـــم تلـــد كوليـــدِ اللـــؤم فالقَـــةً عـــن رَأْسِ شَـــرٍّ وليـــدٍ شـــرّ مـــا رَكَـــبِ**

**قـــد قلـــتُ إذ نحلـــوه الـــشعرَ:حـــاشَ لَـــهُ إنّ البُـــروكَ بـــه أولـــى مـــن الخَبَـــبِ**

**البُحْتُـــريُّ ذَنُـــوبُ الوجـــهِ نعرفـــه ومـــا رأينـــا ذَنُـــوبَ الوجـــه ذا أدَبِ**

**أتّـــى يقـــولُ مـــن الأقـــوالِ أثْقَبَهـــا مَـــن راح يحمـــل وجهـــاً ســـابغَ الـــذَنبِ**

**أولى بِمَـــنْ عظمـــتْ فـــي النـــاس لحيتُـــهُ من نِحلـــة الـــشعر أن يُـــدْعَى أبـــا العجـــبِ**

وحسبْه من حِباءِ القومِ أن يهبوا ... له قفاهُ إذا ما مَرَّ بالعُصَبِ

ما كنتُ أحسِبُ مكسوًّا كلحيته ... يُعفَى من القَفْدِ أو يُدْعَى بلا لَقَبِ

لهفي على ألفِ مُوسى في طويلته ... إذا ادّعى أنّه من سادةِ العَرَبِ(٦٢)

إنّ الشعراء العباسيين الذين هجوا الشعراء الآخرين بالعيوب الجسدية التي لا شأن لهم فيها كقبح الوجه أو العمى أو جحوظ العينين، كانوا أقل حظًّا وأدنى رتبة من الشعراء الذين اتخذوا من العيوب النفسية موضوعات لهجائهم؛ كونها تخضع لإرادة الإنسان ، فبإمكانه تغيير تلك العيوب في أي وقت يشاء، وكان البخل أبرز تلك العيوب، وأكثر تأثيراً في المجتمع الذي كان الشعراء جزءًا منه ، فاستثمر بعضهم تلك المنقصة النفسية في هجائه لمن يغضب عليه من الشعراء الآخرين، ولذلك توجّه الشاعر سلم الخاسر إلى أبي العتاهية- الذي اشتهر ببخله- وهجاه بالبخل، ولاسيما حين أفاد من تطرّقه – في شعره دومًا- إلى الزهد والتذكير به، إلى الدرجة التي أصبح فيها الشاعر (سلم الخاسر) حكيمًا في أبياته، وبالذات في الأبيات الثلاثة الأخيرة، إذ قال:

ما أقبحَ التزهيدَ من واعظٍ ... يُزَهِّدُ النّاسَ ولا يَزْهَدُ

لو كان في تزهيده صادِقاً ... أضحى وأمْسَى بيتَه المَسْجِدُ

ورَفَضَ الدُّنيا ولمْ يَلْقَها ... ولم يَكُنْ يَسْعَى ويَسْتَرفِدُ

يخافُ أنْ تَنْفَدَ أرزاقُه ... والرزقُ عندَ اللهِ لا يَنْفَدُ

الرّزقُ مقسومٌ على مَن تَرى ... ينالُهُ الأبيضُ والأسْوَدُ

كُلٌّ يُوَفَّى رزقَهُ كاملاً ... مَنْ كَفَّ عن جَهْدٍ ومَن يَجْهَدُ(٦٣)

وانماز الشاعر بكر بن النطاح ببخله أيضاً، فدخل عليه الشاعر عبّاد بن الممزّق يومًا، فقدّم له بكر بن النطاح خبزًا يابسًا قليلاً بلا أدْم، ورفعه من بين يديه قبل أنْ يشبع ، لذا هجاه عبّاد بن الممزّق، ورماه بالبخل الشديد، من خلال محاولة بيعه في السوق بفلسين فقط؛ كونه يشعر أنّ الآكِلَ من خبزه كأنّما يأكل شحمة عينه، قائلاً:

مَنْ يشتري منّي أبا وائلٍ ... بكرَ بن نطاح بفَلْسَيْنِ؟

كأنّما الآكِلُ من خُبْزِهِ ... يأكلُهُ من شَحْمَةِ العَينِ(٦٤)

وقد لا يتّهم الشاعر الهجّاء مهجوّه بالبخل مباشرة ، بل يلجأ إلى هجائه من خلال الحديث عنه بما يوحي بتلك التهمة، كما فعل الشاعر خالد الكاتب حين هجا الشاعر (الحلبي) ؛ إذ ادّعى أنه يرتدي جبَّة قديمة قد تمزّقت فرقّعها، مع أنّه شاعر يمتلك منطقًا رائعًا، وقد غدا العُريُ ينال المرتبة الثانية بعد تلك الجبة، في كناية عن شدّة تمزقها ، ومن ثم سيفهم المتلقي أنّه شاعر بخيل ؛ لأنه لا يهتم بملابسه التي يجب أن تليق بمقامه، بوصفه شاعرًا ، وحتمًا فان البخل سيكون السبب الرئيس في عدم مبالاته بملابسه، يقول:

وشـــــاعرٍ ذي مَنطـــــقٍ رائـــــقٍ فـــــي جُبَّـــــةٍ كالعـــــارضِ البـــــارِقِ
قطعـــــاءَ شـــــلاّءَ رقاعيـــــةٍ دهريـــــةٍ مرقوعـــــةِ العـــــاتقِ
قَـــــدَّمَها العُـــــرْيُ علـــــى نفـــــسِهِ لِفَـــــضلِها فـــــي القَـــــدَرِ الـــــسابِقِ[٦٥]

أمّا البحتري، فأنه حين هجا الشاعر أبا أحمد يحيى بن علي المعروف بابن المـنجم، اتهمـه بالـسخافة، فضلاً عن البخل طبعًا، ولم يكتف بذلك، بل جعله موضوعًا للفكاهة والسخرية من لدن المتلقين؛ لأنـه (الـشاعر) يدّعي أنّه لم يأتِ إليه إلاّ للضرورة ، كما في حال الإنسان الذي يذهب إلـى الكنيـف (موضـع قـضاء الحاجـة) للضرورة أيضًا، وفي ذلك تشبيه تمثيلي رمى فيه الشاعر إلى تصوير مهجوّه بأبشع صورة من خلال البيتين:

بَلَـــــوتُ(أبـــــا أحمـــــدٍ) مَـــــرَّةً فألفَيـــــتُ منـــــهُ بَخِـــــيلاً سَـــــخِيفَا
ولـــــولا الـــــضَّرُورَةُ لَـــــمْ آتِـــــهِ وعنـــــد الـــــضرورةِ آتـــــي الكنِيفـــــا[٦٦]

ولأبي تمّام عيبان نفسيّان أفاد منهما الشاعر عبد الصمد بن المعذّل حين عزم على هجائه، وهما- بحسب رؤية الشاعر الهجّاء- طلب الوصال من النساء، والرغبة في العطاء من الممدوحين الـذين يمـدحهم أبـو تمـام، والملاحظتان كلتاهما تضطر الشاعر المهجو إلى الذّل في السؤال، وإلى بذل ماء الوجه، ولذلك يهجوه عبد الـصمد بن المعذّل بهما، سائلاً إيّاه عن كرامته التي أهدرها بين ذُلّ الهوى وذلّ السؤال، قائلاً:

أنـــتَ بـــين اثنتـــين تبـــرزُ للنّـــا سِ وكلتاهمـــا بوجـــه مـــذالِ
لـــستَ تنفـــكُّ طالبًـــا لوصـــالٍ مـــن حبيـــبٍ أو راغبًـــا فـــي نـــوالِ
أيّ مـــالٍ لحُـــرٍّ وجهـــك يبقـــى بـــين ذُلِّ الهـــوى وذُلِّ الـــسؤالِ[٦٧]

والشؤم عيب نفسي نسبه الشاعر يزيد المهلبي إلى الشاعر عبد الصمد بن المعذّل، وذلك في هجائـه لـه، فالمهجو سبب كل بلاء يحلّ بالآخرين الذين يتصل بهم أو يتقرب منهم، فهو علامة للنحس، إلى الدرجة التي تؤدي إلى الموت الجماعي لمَن يحلّ عليهم ضيفًا مثلاً، وهو حين ينشد مديحه لأحدهم، فان ذلك الممدوح سيتنسم رائحـة الموت في شعره، فذلك كله وأكثر منه ادّعاه يزيد المهلبي على مهجوه الشاعر عبد الصمد بن المعذّل في قـصيدته التي قال فيها:

يقـــولُ ذوو التّـــشؤُّمِ مـــا لقينـــا كمـــا لقـــي ابـــنُ ســـهلٍ مـــن يَزيـــدِ
أتَتْـــهُ مَنيّـــةُ المـــأمُونِ لمّـــا أتـــاهُ يزيـــدُ مـــن بلـــدٍ بعيـــدِ
فَـــصَيَّرَ منـــهُ عـــسكَرَهُ خَـــلاءً وفَـــرَّقَ عنـــهُ أفـــواجَ الجنـــودِ
فقلـــتُ لهـــمْ وكـــمْ مـــشؤومِ قـــومٍ أبـــاد لهـــم عديـــدًا مـــن عدِيـــدِ
رأيـــتُ ابـــنَ المعـــذَّلِ يـــا لعمـــرٍو بـــشؤمٍ كـــان أســـرعَ فـــي ســـعيدِ

فمنـــــه مـــــوتُ جِلّـــــةِ آل سَـــــلْمٍ ومنـــــهُ قـــــض آجـــــامِ البريـــــدِ
ولـــــم ينـــــزلْ بـــــدارٍ ثُـــــمَّ يمـــــسي ولمّـــــا يَـــــسَمعْ لَطْـــــم الخـــــدودِ
وكـــــلُّ مـــــديحِ قـــــومٍ قـــــال فـــــيهمْ فـــــإنّ بعَقْبـــــهِ ( يـــــا عـــــين جـــــودي)
إذا رجـــــلٌ تَـــــسَمَّعَ منـــــه مـــــدحًا تنـــــسّمَ منـــــه رائحـــــةَ الـــــصعيدِ
فلـــــو حـــــصفَ الـــــذين يُبـــــيح فـــــيهمْ أثـــــاروا منـــــه رائحـــــة الطّريـــــدِ
فلـــــيس العِـــــزُّ يمنـــــعُ منـــــه شُـــــؤْمًا ولا عتبًـــــا بـــــأبوابِ الحديـــــدِ(٦٨)

كما ألصق خالد الكاتب الصفة نفسها (الشؤم) لمهجوّه الشاعر الحلبي، فقد هجاه بمقطوعة قصيرة رماه فيها بالمنقصة النفسية، إذ جعله– لشدّة شؤمه– فقيراً، إلى درجة ينكره فيها الغنى حين يراه، ويقذفه الرزق فيما لو أبصره، ثمّ يدّعي الشاعر الهجّاء عليه أنّ الله (سبحانه وتعالى) قد قضى عليه بالتيه والفقر منذ أنْ خلقه، وتشتدّ صورة الهجاء على المهجو حين يجعل الشاعر منه قذرًا إلى حدٍّ بعيد، بحيث يوسّخ المسك حين يختلط به، ويكدّر البحر حين يدخله، وممّا لاشكّ فيه أنّ تلك الصورة في الهجاء صورة بعيدة في المبالغة من جهة، ولكنها تعكس لنا مدى حقد الشاعر الهجّاء عليه من جهة أخرى، وذلك واضح من خلال قوله فيه:

تَـــــاهَ علـــــى ربِّـــــهِ فـــــأفقرَهُ حتـــــى رآه الغِنَـــــى فـــــأنكرَهُ
فـــــصارَ مـــــن طـــــولِ حِرفـــــةٍ علَمًـــــا يقذفُـــــهُ الـــــرِّزْقُ حيـــــثُ أبـــــصرَهُ
يـــــا حَلَبيًّـــــا قَـــــضَى الإلـــــهُ لَـــــهُ بالتِّيـــــهِ والفقـــــرِ حـــــينَ صَـــــوَّرَهُ
لـــــو خَلَطُـــــوهُ بالمِـــــسْكِ وَسَّـــــخَهُ أو طَرَحُـــــوهُ فـــــي البحـــــر كَـــــدَّرَهُ(٦٩)

وقد يُهجى الشاعر بالانتساب إلى المهنة التي كان يعمل فيها قبل أنْ يشتهر بالشعر أو بمكانة مرموقة في الدولة والمجتمع، وأبرز مثال على ذلك هو الشاعر الزيات الذي أصبح وزيرًا في الدولة العباسية، إذ هجاه علي بن جبلة العكوك بمهنته السابقة، وهي بيع الزيت، إلاّ أنّ الشاعر الهجّاء لم يكتفِ بهجائه بمهنته السابقة فحسب، بل هجاه ببعض العيوب النفسية التي نسبها له أيضًا، مثل الحماقة والكذب، فضلاً عن توافر الألفاظ البذيئة في مقطوعته، وتوجيه الشتائم، وقذف المحصنات، إذ يقول:

يـــا بـــائعَ الزيـــتِ عَـــرِّجْ غيـــرَ مرمُـــوقِ لتـــشغلنَّ عـــن الأرطـــالِ والـــسُّوقِ
مَـــن رامَ شَـــتمكَ لـــم ينـــزع إلـــى كـــذبٍ فـــي مُنتمـــاه وأبـــداه بتحقيـــقِ
أبـــوك عبـــدٌ ولـــلأُمِّ التـــي فَلَقَـــتْ عَـــن أُمِّ رأسِـــكَ هَـــنّ غيـــرُ محلُـــوقِ
إنْ أنـــتَ عَـــدّدتَ أصـــلاً لا تُـــسَبُّ بـــه يومـــاً، فأمّـــكَ منّـــي ذاتُ تطليـــقِ
ولـــن تُطيـــقَ بحـــولٍ ان تـــزلّ شـــجًا أثبتُـــهُ منـــك فـــي مـــستنزلِ الرِّيـــقِ

الله أنـــشأكَ مـــن نَـــوكٍ ومـــن كـــذبٍ لا تَعطِفَـــــنَّ إلـــــى لــــوم لمخلـــــوقِ
مـــاذا يقـــولُ امـــرؤٌ غَـــشَّاكَ مدحتَـــهُ إلاّ ابـــــنُ زانيــــةٍ أو فــــرخُ زنــــديق(٧٠)

إنّ الهجاء بالمهنة التي كان ينتسب لها الشاعر سابقًا ليست عيبًا حقيقيًا، فهي كـالعيوب الجـسدية التـي اتخذها بعض الشعراء وسائل للنيل من خصومهم من الشعراء الآخرين ، فلا تشكّل هجاءً من الممكـن أنْ يقـدّره المتلقي، وهو لا يدلّ إلاّ على الحقد الدفين والحسد والغيرة من لدن الشاعر الهجّاء من مهجوّه الذي غدا شخـصية يُشار لها بالبنان، كالوزير (الزيات) الذي تعرَّض للهجاء بالنسبة هذه مرَّات عدّة، كما في النص السابق، أو كما في هجاء شاعر آخر له بالمضمون نفسه، وهو علي بن الجهم، الذي أعرب عن حسده لما آل إليه الزيات من الوزارة التي أصبح على رأسها، وذلك نراه يلجأ إلى التقليل من شأنه حتى في عمله بوصـفه وزيـرًا ، ويـدعو الخليفـة العباسي (الواثق بالله) إلى قتل وزيره الزيات، مدَّعيًا أنّه أهمل أمور الدولة لعدم كفاءته، قائلاً:

لَعَــــــــــائنُ الله مُتابَعــــــــــاتِ مُــــــــــصَبِّحات ومُهَجِّـــــــــراتِ
علــــى ابـــن عبــد الملـــكِ الزيّـــاتِ عَـــرَّضَ شَـــمْلَ المُلْـــكِ للـــشَّتَاتِ
وأنفَــــــذَ الأحكـــــامَ جـــــائراتِ علــــــى كِتـــــابِ اللهِ زاريــــــاتِ
وعـــن عُقُـــولِ النَـــاسِ خارجـــاتِ يَرْمِـــــي الـــــدَّواوينَ بتَوقِيعـــــاتِ
مُعَقَّـــــداتٍ كَرُقـــــى الحَيَّـــــاتِ سُـــبْحانَ مَـــنْ جَـــلَّ عَـــنِ الـــصِّفاتِ
بعـــد رُكُـــوبِ الطَّـــوفِ فـــي الفـــراتِ وبعــــدَ بَيْـــعِ الزَّيـــتِ بالحَبَّـــاتِ
صِرْتَ وزيـــرًا شامِـــخَ الثباتِ هـــرُونُ يـــا بْـــنَ سَـــيِّدِ الـــسّاداتِ
أمـــا تَـــرى الأُمُـــورَ مُهْمَـــلاتِ تَـــشْكو إلَيـــك عَـــدَمَ الكُفـــاةِ
فعاجِــــلِ العِلْــــجَ بمُرْهَفـــــاتِ مـــن بعـــد أَلْـــفٍ صُـــخَّبِ الأصـــواتِ
بمُثمِـــــراتٍ غيــــر مُورِقــــاتِ تُـــــرى بِمَتْنَيــــه مُرصَّـــــفاتِ(٧١)

فمثل الهجاء هذا نرى الحسد واضحًا يعلن عن نفسه من خلال ألفاظ الشاعر، وتراكيبه، فضلاً عن الحال النفسية التي تؤدي بالشاعر الهجّاء إلى الاندفاع بالقول بشدّة ضد مهجوّه الذي لا ذنب له إلا عمله السابق أو عمـل أبيه ربما، فالشاعر الهجّاء نفسه ينبري للزيات– في بيتين آخرين– ليهجوه بتلك المهنة قبل تولّيه الوزارة، يرى في البيت الأول منهما أنّه يفَضِّل هجاء الزيات في بيت واحد يجمع فيه المعاني كلّها، بدلاً من هجائه بقصيدة طويلة قـد تصل إلى تسعين بيتًا، أمّا في البيت الثاني، فاننا نجد الهجاء الذي توقعنا أنْ يكون خطيرًا جدًّا، ولكننا لم نجـد فيـه سوى أمنية مفادها حاجة المُلْك إلى مطرة؛ لكي تغسل الزيت المتراكم على شاعره المهجو:

أحْـــسَنُ مـــن تـــسعينَ بيتًـــا سُـــدًى جَمْعُــــكَ مَعْنـــاهُنَّ فـــي بَيـــتِ

**مـــا أحْـــوَجَ المُلْـــكَ إلـــى مَطْـــرةٍ　　　تَغْـــسِلُ عنـــه وَضَـــرَ الزَّيـــتِ**(٧٢)

وفعل الأمر نفسه الشاعر السّريّ الرّفّاء مع مهجوّه الشاعر( النامي) ، الذي كان جزّارًا في حلب، ويقال: إنّ أباه هو مَن كان يعمل جزّارًا وليس الشاعر، وعلى أية حال فقد هجاه السّريّ الرّفّاء بتلك المهنة، إلاّ أنّنا سنتمثّل بتلك النصوص في موضع لاحق؛ لعلاقتها بمحور آخر من محاور الهجاء واتّصالها به بقوّة (٧٣).

ومن معاني هجاء الشعراء العباسيين الأُخر هي لجوء بعضهم إلى هجاء الشاعر في شعره، والتقليل من القيمة الفنية والموضوعية لشعر ذلك المهجو، ونعتقد أنّه مضمون ذو قيمة فعلاً إذا كان الهجّاء فيه صادقاً؛ لأنه يعني النقد الموضوعي الفني، فضلاً عن الجانب الهجائي الشخصي الذي يحتويه، إلاّ أنّ الشاعر الهجّاء يكون مدفوعًا بالقضايا الشخصية في هجائه لذلك الشاعر والطعن في شعره، ممّا يضيع فرصة وجود النقد الحقيقي البنّاء، وعلى الرغم من ذلك يبقى المضمون الهجائي هذا مضموناً فاعلاً؛ كونه يتجنب فيه الشعراء العيوب النفسية والجسدية والمضامين الأُخر التي بحثناها سابقًا، ويتجه إلى شعر الشعراء طريقًا لهجائهم من خلاله.

وتتركز أكثر معاني ذلك الهجاء ببرودة شعر الشاعر المهجو أو غثاثته، أو أنّه مسروق من بعض الشعراء، ولاسيما الشعراء الذي يقومون بهجاء أولئك الشعراء وأشعارهم، أو أنّهم تأثروا بأفكار الشعراء السابقين لهم، وهكذا نال الشاعر خالد الكاتب من مهجوّه الشاعر مروان بن أبي حفصة، إذ عقد حوارًا بينه وبين مجموعة من الناس الذين كانوا يتساءلون عن سبب اشتداد البرد عليهم في اليومين الأخيرين، ليكون جواب الشاعر لهم مضموناً لهجاء الشاعر مروان بن أبي حفصة، الذي يكمن في أنّ بعض المنشدين أنشدوا شعرًا للشاعر المهجو، ممّا أدّى إلى زيادة انخفاض درجات الحرارة لدى أولئك الناس، والمعنى أن شعره كان باردًا لا حرارة فيه، يقول:

**وزادَ البـــــردُ يَـــــومينِ　　　فقـــال النـــاسُ: مـــا القـــصَّةْ ؟ !**

**فقلنـــا: أنْـــشَدُونا شِعْـــــرَ مـــروانَ بنـــي ابـــي حَفْـــصَةْ**(٧٤)

أمّا شعر البحتري، فانّ رائحته كريهة؛ لأنه سَلَحَ فيه بحسب قول الشاعر أحمد بن أبي طاهر طيفور، كما أنّه يلحن في بعض شعره، ويسرق بعضه الآخر:

**فلمّـــا تَـــصَفَّحْتُ أشـــعارَهُ　　　إذا هُـــوَ فـــي شـــعره قـــد خَـــرِي**

**ففـــي بعـــضها لاحِـــنٌ جاهـــلٌ　　　وفـــي بعـــضها ســـارقٌ مُفْتَـــرِ**(٧٥)

وفي الوقت الذي اتُّهِمَ فيه البحتري بسرقة شعره من الآخرين، نراه هو نفسه يتّهم شاعرًا آخر بارتكاب الفعل نفسه، وذلك في هجائه للشاعر (الحارثي)، إذ يهجوه بقلّة الوفاء لصديقه؛ لأنه يكيد له من جانب، ويسرق شعره من جانب آخر، فيقول:

**يـــا (حـــارِثيُّ)! ومـــا العِتـــابُ بجـــاذبٍ　　　لـــكَ عـــن مُعانَـــدَةِ الـــصَّديقِ العاتـــبِ**

**مـــا إنْ تَـــزالُ تَكِيـــدُهُ مِـــن جانـــبٍ　　　أبـــدًا، وتَـــسْرِقُ شِـــعْرَهُ مـــن جانِـــبِ**(٧٦)

إلاّ أنّ هجاء ابن الرومي في المجال هذا، كان أشدّ قسوة على البحتري، كون ابن الرومي شاعرًا كبيرًا، ولاسيما في غرض الهجاء، ولذلك نال منه، وشفى غليله بقوّة حين هجاه بغثاثة شعره أوّلاً، وسرقته ثانياً، ففيما

يتعلّق بالجانب الأول، يرى ابن الرومي أنّ شعر البحتري غَثٌّ وإنْ تعب في تألفيه، فهو حين يسمعه السامع يكون كمَن يميّز بين نبع الماء، والماء الذي في الدلو(النَّبْع والغَرَب)، كما أنّه يشبَه رُقى العقارب غير المفهومة، أو هو كثرثرة عمّال البناء حين تعلو أصواتهم من دون أنْ يفهم أحد منها شيئًا، بمعنى أنّ شعره غير مفهوم وغير ذي معنى، وفيما يتعلّق بمضمون الهجاء الآخر، يرى ابن الرومي أنّ شعر البحتري مسروق من الشعراء الأموات، فهو يُغير على أشعارهم ويسلبها منهم إذا ما أعجبته المعاني التي فيها، وعلى النحو هذا يستمر ابن الرومي في هجائه لشعر البحتري الذي يدّعي فيه أنّه مسروق من الشعراء الآخرين إلى آخر أبياته التي يقول فيها:

**قُبحًا لأشياء يأتي البحتريُّ بها ... من شعرهِ الغَثِّ بعد الكَدِّ والتَّعَبِ**

**كأنّها حينَ يُصْغي السامعون لها ... ممَّن يُمَيِّزُ بين النَّبْعِ والغَرَبِ**

**رُقى العقارب أو هَذْرُ البُناةِ إذا ... أضحوا على شَعَفِ الجدران في صخبِ**

**وقد يجيء بخَلْطٍ فالنُّحاس له ... وللأوائل صافيه من الذّهبِ**

**سَمِينُ ما نَحلوهُ من هُنا وهُنا ... والغَثُّ منه صَريحٌ غير مجتلبِ**

**يُسيءُ عفًّا، فإن أكْدَتْ وسائله ... أجاد لِصًّا شديدَ البأس والكَلَبِ**

**إنّ الوليدَ لمغوارٌ إذا نَكَلتْ ... نفسُ الجبان، بعيد الهم والسُرُبِ**

**عبدٌ يغير على الموتى فيسلُبهم ... حُرَّ الكلام بجيش غير ذي لجبِ**

**ما إنْ تزالُ تراهُ لابساً حُلَلاً ... أسلابَ قومٍ مضوا في سالف الحِقَبِ**

**شِعرٌ يُغيرُ عليه باسلاً بطلاً ... ويُنشدُ النّاسَ إيّاه على رِقَبِ**

**يقولُ مستمعوه الجاهلون به: ... أحسنتَ يا أشعر الخُضَّار والغَيَبِ**

**حتى إذا كفَّ عن غاراته فله ... شعرٌ يئنُّ مقاسيهِ من الوصبِ**

**شعرٌ كنافِض حُمى الخيبريِّ له ... بردٌ وكربٌ فَمَنْ يرويه في كُرَبِ؟**

**كأنَّهُ الغَرقُ الشَّتْويُّ مَصرَدُهُ ... بغير رُوحٍ، وما للرُّوح والشجبِ؟**

**قل للعلاء أبي عيسى الذي نَصلت ... به الدواهي نُصولَ الألّ في رجبِ**

**وآمن اللهُ ليلَ الخائفين به ... بَلْهَ النهارَ وضَمَّ الأمرَ ذا الشعب**

**أيسرِقُ البحتري الناس شعرهمُ ... جهرًا وأنت نَكالُ اللصِّ ذي الريبِ؟**

**وتارةً يُسترزُ الأرواحَ مَنْطِقُهُ ... فالخَلقُ من بين مقتولٍ ومُغتَصَبِ**[٧٧]

وفي نصٍّ آخر للشاعر يهجو فيه شعر البحتري أيضاً، يصوّر شعور الشاة حين يكتَب على جلدها شعر الشاعر المهجو، فهي لا تجزع حين تُقاد إلى مصيرها المعلوم، فلا تُفَكِّرُ في الألم الذي سيحلّ بها نتيجة ذبحها وسلخها، كما أنّها لا تجزع من شيٍّ لحمها أو طبخه، ولكنها تُشْفِقُ أنْ يكون شِعر البحتري مكتوباً على جلدها، مع أنّه – بحسب ادّعاء الشاعر– لا يتحلّى بالشرف الذي من الممكن أنْ يُهَوِّنَ على الشاة كتابة شِعره فوق جلدها، يقول:

مـا تَجْـزَعُ الـشَّاةُ إذا شُـحطَتْ ... مـن أَلَـمِ الـذَّبح ولا الـسَّلْخِ
ولا مـن التَّفْـصيلِ مَنكُوسَـةً ... ولا مـن الـشَّيِّ ولا الطَّـبْخِ
لكنَّهـا تَجْـزَعُ مـن خَلَّـةً ... تَقْـدَحُ فـي الأحـشاءِ بـالمَرْخِ
تُـشْفِقُ أنْ يُكْتَـبَ فـي جلـدها ... شِـعْرُكَ يـاذا القَـرْنِ والكَـشْخِ(٧٨)

ولا جدل يُثار حول أصالة الفكرة التي طرقها ابن الرومي في نصّه هذا، وروعة المعنى الذي ورد فيه، وذلك ما يجعلنا نحترم الشاعر حتى في نظمه للشعر المحرّم في النص القرآني، وأقصد غرض الهجاء.

ويهجو ابن الرومي شاعراً آخر غير البحتري، وأقصد به: عبدالله بن الناشئ الأكبر ويسمّيه القرد ؛ إرضاءً لغضبه منه ؛ بسبب ترويجه وحديثه عن وسواس ابن الرومي، ولذلك هجاه الشاعر هجاء قاسياً، اعترف فيه – على سبيل المزاح – بوسواسه الذي أصابه نتيجة اهتمام بعض الناس بشعر الناشئ الأكبر، كونه – برأي ابن الرومي – شعراً رديئاً لا يستحق الاهتمام، ويستمر الشاعر ابن الرومي بهجائه في مضمون شعره غير الجيد طوال أبيات قصيدته التي بلغت ستة عشر بيتاً، إذ قال فيها:

يُرجِـفُ القِـردُ بـأنّي ... زائـل العقـلِ موسَـوسْ
حـاوَلَ القِـردُ لَعَمْـري ... عكْـسَ أمـرٍ لـيس يُعْكَـسْ
أتُـراهُ يَتَظَنَّـى ... أنّ عـينَ الـشَّمْسِ تُطمـس؟
إنْ أُوسْـوَس فحقيـقٌ ... يُـسْعَدُ القِـردُ وأُنْحَـس
أصـبحَ النّاشِـئُ ممَّـن ... يتغنّـى وهـو أخـرس
نافِقـاً عنـد أُنـاسٍ ... تَعِـسُوا، والـدهرُ أتعـس
قُـلْ لـه عنّـي، وإنْ أصـ ... ـبحتُ أطْـرَى وأكـيس:
تِـه علـى الـدهرِ، وقـل مـا ... شِـئْتَ وأظلـمْ وتغطْـرس
لـم يُقـدَّس منـك شَـيءٌ ... ولـكَ الجَـدُّ المقـدَّس
كيـف لا يـشتدُّ وَسْـ ... واسِـي، وأشـعارُك تُـدْرَس

| | |
|---|---|
| وضـــــياءُ الــــشمسِ لا يقْـــــــ | ـــــبَس والظّلمـــــــاءُ تُقْــــبَس؟ |
| لــــم أكـــن أنْفَــس شـــيئاً | وعلــــى مثلـــك أنْفَـــس؟ |
| قيـــل لـــي: إنَّـــكَ شُــعِّرْ | تَ فــــضاق المتــــنفَّس |
| ثُــــمَّ عَزَّيـــتُ فـــؤادي | بعـــد مـــا حـــار وأبلـــس |
| قلـــتُ: إنّـــا لبخيـــر | إنْ أخونـــا لـــم يُفـــرَّس |
| مـــا اقتنـــى مثلَـكَ دهـــرُ الــسْـ | ـــوءِ إلاّ حـــين أفلـــس(٧٩) |

ولا نغفل الإشارة إلى السخرية الموجودة في هجاء ابن الرومي للناشئ الأكبر، فالقصيدة كلّها تكاد تكون عبارة عن ضحك متواصل ومزاح لا ينتهي حتى البيت الأخير منها، الذي تضمن صورة مؤلمة للمهجو تدلّ على براعة الشاعر، وحسن نظمه بالمعاني المبتكرة، إذ جعل الدهر لا يقتني مثل مهجوّه إلاّ في وقت إفلاسه وعدم امتلاكه لأي شيء ، كما أنّ القصيدة تنال من الشاعر المهجو، وتجعله مدار سخرية المتلقين من خلال الأسلوب الذي نظم فيه الشاعر قصيدته في هجائه.

وهجا يحيى بن علي المنجم الشاعر ابن المعتز بعد وفاته، وعاب شعره بأسلوب ساخر أيضاً، فهو يعدّ شعره رديئاً في قسم منه، وفي القسم الآخر يتّهمه فيه بسرقته من الشعراء الآخرين، قائلاً:

| | |
|---|---|
| فـــإنْ أبكـــهِ الآن لا أبْكِـــه | لِحُـــسْنِ وَفـــاءٍ ولا سُـــؤْدَدِ |
| ولكـــن لِـــشِعْرٍ لـــه رائـــقٍ | لــــسَمْعِ البَـــصيرِ وللمُنْـــشِدِ |
| كثيـــرِ البـــديعِ ولكنَّـــهُ | يَزيـــغُ مـــن الكَلـــمِ الــشُرَّدِ |
| وفيـــه نـــوادرُ قـــولٍ أخَـــذنَ | بمطـــرف الـــشعر والمتْلَـــدِ |
| أغـــار علـــى أهلهـــا مـــصلتاً | ولـــم يتحـــشّمْ مـــن النُّقّـــدِ |
| فلـــم يَـــستَدِم حُـــسْنَ مـــا كـــان فيـــه | ولـــم يخـــشَ مـــا نالَـــهُ فـــي غَـــدِ |
| فـــأودَى مُـــسيئاً فمـــا إنْ بخلـــتُ | عليـــه بـــأنْ قلـــتُ: لا تَبْعَـــدِ(٨٠) |

وللشاعر نفسه قصيدة في هجاء ابن المعتز أيضاً في حياته، نراه فيها يتفاخر عليه، مُقَلِّلاً من شأنه، كون ابن المعتز كان يتأمّل أنْ يدرك الخلافة بالشعر الذي ينظمه، لذا يدعو عليه الشاعر بألاّ ينال ذلك الأمر، ويتمنى أنْ يُعَجِّل الله (سبحانه وتعالى) بأجله ؛ لئلا يبلغ رجاءه، فيقول:

| | |
|---|---|
| وهـــاجٍ هجانـــا بـــلا علّـــةٍ | وهـــل يَطْلـــب الـــشِّعر إلاّ العلـــلْ |
| فلـــم نَعْـــفُ عنـــهُ ولـــم نَهْجُـــهُ | ولكـــن أرينـــاهُ كيـــف العَمَـــلْ |
| ليحـــسنَ مـــا كـــان منّـــا عليـــه | فيخـــشى مَـــصارع ســـواء الزلَـــلْ |

فـــــلا يَـــــستَحلَنَّ أعراضـــــنا فقــــد حَـــرَّمَ اللهُ مـــا قـــد أَحَـــلْ
يُومِّـــلُ بالـــشِّعْرِ أنْ يـــدرك الـــ ـــــخلافةَ، لا نـــالَ ذاك الأَمَـــلْ
فياليـــتَ خالِقَـــهُ قـــد رمـــاهُ مـــن دون مـــا يرتجـــي بالأجَـــلْ(٨١)

ويبدو أنّ غرور البحتري وإعجابه بنفسه قد أثار كثيراً من الشعراء العباسيين عليه، فانبروا لهجائه واحدًا تلو الآخر، فكان الشاعر المعروف بـ(جحظة البرمكي) واحدًا منهم، إذ هجاه ببيت يتيم، عـدَّه فيـه بيتـاً للعـيّ والبرودة، واعتقد أنّه كان يرمي بذلك القول شعر البحتري وليس شخصه، إذ قال:

البحتـــري أبـــو عبـــاده بيـــت الفهاهـــة والـــبلادهْ(٨٢)

لقد أكثر السَّريُّ الرّفّاء من هجاء الشاعرين الخالديَّين، وادّعى عليهما بأنّهما كانا يسرقان شـعره، فهـو يهجوهما حتّى في مديحه لأحد الشخصيات المهمة في ذلك الوقت، ومن ذلك هجاؤه لهما بـسرقة شـعره، مهـدِّداً إيّاهما بحرب ضدَّهما، ولاسيما بهجائه القاسي من مثل قوله:

نُبِّئْـــتُ أنّ الأغبيـــاءَ تَوثَّبُـــوا سَـــفَهاً عَلَـــيَّ مـــع الزَّمـــانِ الواثـــبِ
دَبَّـــتْ عقـــارِبُهُمْ إلـــيّ ولـــم تَكُـــنْ لتَـــدِبَّ فـــي لَيـــلِ النِّفـــاقِ عَقَـــارِبِي
مِـــن مُنْكِـــرٍ فَـــضْلِي عَليـــهِ ومُـــدَعٍ شِـــعْرِي ولـــم أســـمَعْ بـــأخْرَسَ خاطِـــبِ
هَيهـــاتَ مـــا جَهْـــلُ الجَهـــولِ بِمُـــسْبِلٍ حُجُبـــاً علـــى نَجْـــمِ العُلُـــومِ الثّاقِـــبِ
وإذا العَـــدُوُّ أثـــارَ حِقـــداً لـــم يَـــزَلْ يَكْـــتَنُّ فـــي رَمْـــسَى حَـــشاً وتَرائِـــبِ
فليـــستَعِدَّ لِطَعْنَـــةٍ مـــن طـــاعِنٍ شـــاكِي الـــسِّلاحِ وضَـــرْبَةٍ مـــن ضـــارِبِ(٨٣)

ولم يخرج مضمون هجائه المستمر لهما معاً، أو لأحدهما من دون الآخر، عن الطعن فيهما فيما يتعلـق بالاغارة على شعره وسرقته منه(٨٤).

وفعل السَّريّ الرّفّاء الأمر نفسه مع مهجوّه الشاعر المعروف بــ(النـامي)، فبعـد أنْ عَيّـره بمهنتـه (الجزّار)، لجأ إلى اتّهامه بسرقة شعره وادّعائه لنفسه، وانتهى بعد ذلك إلى الحديث عن رداءة شعره وأنّـه شـعر غير معروف لدى الناس، فكأنه الطائر الأسطوري الذي يسمع به الناس ولم يروهُ يوماً (عنقـاء مغـرب)، وبـذلك أبطل الشاعر الهجّاء ادّعاء الشاعر المهجو، إذ كان يتفاخر بشعره من ناحية الجودة، قائلاً:

أجـــزّارَ بـــابِ الـــشّامِ كيـــفَ وجَـــدْتَني؟ وأنـــتَ جَـــزُورٌ بـــينَ نـــابي ومِخْلَبـــي
أراكَ انتهَبْـــتَ الـــشِّعْرَ ثـــمَّ خبَّأتَـــهُ عـــن النّـــاسِ فِعْـــلَ الخـــائِفِ المترقِّـــبِ
تباعـــدْتَ عـــن بـــاقورةِ الـــشّامِ بالمُـــدى إليـــه فلـــم تحـــرج ولـــم تتحـــوَّبِ
ولَمَّا جَرى الحُـذَّاقُ فـي ضَـوءِ صُـبْحِهِ تَعَثَّـــرْتَ مِنـــه فـــي ضَـــبابَةِ غَيْهَـــبِ

حُرِمتَ من الإيجازِ أقْربَ مَسلَكٍ ومن ذَهَبِ الألفاظ أحسنَ مَذْهَبِ
وتزعُمُ أنّ الشِّعْرَ عندَكَ أعرَبَتْ مَحاسِنُه عن ناطِقٍ منكَ مُعْرِبِ
فما بالُ شِعْرِ النّاسِ مِلءَ عيونِنا وشِعرُكَ في الأشعارِ عَنقاءُ مُغْرِبِ؟[٨٥]

وللسّريّ الرّفّاء قصيدة أخرى، يهجوه فيها بمهنته أيضاً، ثم ينتقل بعدها إلى هجائه بسرقة شعره، ويتوعّده فيها بهجائه بشعره ردًّا على فعله هذا[٨٦].

وللشاعر أبي بكر محمد بن هاشم الخالدي، وهو الخالدي الأكبر، بيت قاله في هجاء شاعر، لم يُوضِّح محقّق الديوان في أي شاعر قاله، إلاّ أنّني أُرجِّح أنّه قاله في هجاء السَّريِّ الرَّفّاء ؛ كونه أكثر من هجائه مع أخيه، وفي البيت هذا يتّهم الشاعر المهجو ببرودة شعره، إلى الدرجة التي لو كان في فمه جمرٌ لما ضَرَّهُ ؛ بسبب إنشاده الشعر البارد الذي سيقضي على حرارة الجمر في فمه ؛ لشدَّة البرودة الصادرة عن إنشاد ذلك الشعر، يقول:

لَو أنَّ في فَمِهِ جَمْراً وأنْشَدَنا شِعْراً لَمَا ضَرَّهُ مِنْ إنشادِهِ[٨٧]

وفي البيت صورة جميلة ؛ كونها غير مطروقة، فهي تتضمّن فكرة أصيلة ومعنى جديداً في الهجاء لم يستعمله الشعراء الهجاؤون الذي سبقوه على حدِّ علم الباحث.

كان المضمون السابق الذي تكلمنا عليه يتعلق بهجاء الشعراء العباسيين لبعضهم من ناحية رداءة أشعارهم وغثاثتها أو برودتها، فضلاً عن اتّهامهم بسرقة أشعار الشعراء الهجائين لهم كما رأينا.

وآثر بعض الشعراء الهجائين هجاء الشعراء الآخرين، من خلال الافتخار عليهم بشعرهم الذي فضّلوه على شعر المهجوّين، مثل أبي سعد المخزومي في هجائه لدعبل الخزاعي، إذ خصَّص أبياتاً محدّدة من قصيدته ليتحدّث فيها عن جودة شعره الذي يطير من بلد إلى آخر بسبب تلك الجودة، ثم يتوصّل إلى تهديد دعبل بأشعاره تلك ؛ ليحذِّره ويبثّ الرعب في قلبه من خلال قوله له:

لدعبل وطرٌ في كلّ فاحشةٍ أوباد لؤم بني قحطان لم يبدِ
ولي قوافٍ إذا أنزلتها بلداً طارت بهنّ شياطيني إلى بلدِ
لم ينجُ من خيرها أو شرّها أحد فاحذر شآبيبها إنْ كنت من أحدِ
إنّ الطرماحَ نالته صواعقها في ظلمة القبر بين الهام والصردِ
وأنتَ أولى بها إنْ كنت وارثه فابعد وجهدك أنْ تنجو على البعدِ[٨٨]

أمّا هجاء أبي تمام، فانه يكون في بعض الأحيان عبارة عن قتال عنيف يُجهز به على عدّوه أو منافسه، فيبدو شديد العنف والكبر والحَنَق[٨٩]، ومثال ذلك هجاؤه للشاعر محمد بن وهيب الحميري، فبعد أنْ اتّهمه باللؤم والجهل، راح يفتخر بشعره الذي ينظمه في هجائه ؛ كون ذلك الشعر سيكون عنيفاً معه إلى الدرجة التي يصبح فيها قاتلاً له، منبِّهاً إيّاه أنّ تماهله في هجائه لم يكن ضعفاً، بل كان وقاراً، إذ قال:

لا تَعْجَلَنَّ عليكَ بعدُ نَهارُ وغَداً إليكَ تُجَهَّزُ الأشعارُ

تَــرْكُ اللَّئِــيمِ ولــم يُمــزَّقْ عِرْضُــه ... نَقْــصٌ علــى الرجــلِ الكــريمِ وعــارُ
أشــرَعْتَ فــي بحــرِ الجَهالــةِ ســادِراً ... والجَهْــلُ فــي بعــضِ الهَنــاتِ عُقــارُ
فاشــرَبْ فإنّــكَ ســوفَ تَعلَــمُ أنَّــهُ ... قَــدَحٌ يُــصيبُ العِــرْضَ منــه خُمــارُ
غــاداكَ مُختــارُ الكَــلامِ بــشُرَّدٍ ... عُــونِ القــصيدِ حُتُوفُهــا أبكــارُ
صَــخْرٌ يُفِيتُــكَ مــسمعَيْكَ كِليهمــا ... حتّــى تــرى أنّ الأذانَ سِــرارُ
شِــعْرٌ مَقِيــلُ الــسَّمِّ فيــه ولــم يَقَــعْ ... قِــسْطٌ يُدِيِّثُــهُ ولا أظفــارُ
غُــرَرٌ متــى مــا شِــئْتُ كُــنَّ شــواهِدِي ... أنْ لــم يَكُــنْ لــكَ والــدٌ عَطَّــارُ
لا تَحــسَبَنْ أنِّــي خَفَفْــتُ لِهَفْــوةٍ ... والخِفَّــةُ الهَفْــواءُ فيــكَ وقــارُ
اثنــانِ لَيــسا يُؤمِنــانِ بِحــدَّةٍ ... أنــا حــينَ تُحْــرَقُ سُــخْطَتي والنّــارُ(٩٠)

أمّا هجاء ابن الرومي للبحتري، فانّه – فيه – يبدو غاضباً جدًّا، فهو في قصيدته الطويلة في هجاء البحتري خصّص الأبيات الأخيرة منها للحديث عن شعره الذي حطّ من قدر البحتري، بحيث غدا – بعد هجاء ابن الرومي له – يُدعى بـ(أشقى الأشقياء) ، وهو (ابن الرومي) يطلب من شاعره المهجو أنْ يندب حاله بعد تعرّضه للهجو من لدنه، وهو – في كلّ بيت من أبيات قصيدته الأخيرة – يتوعّده ويحذّره من غضبه عليه، قائلاً له : إنّك عرفتني في السابق رجلاً حلو المذاق، ولكن آن الأوان لتعرفني لدى الغضب، لتتأكد من أنّني رجل أكون مرّةً حلو المذاق كالرطب، وأخرى فيها شجراً مرًّا أو ساماً:

يــابُحتريُّ: لقــد أقبلــتَ مُنقلبــاً ... يــوم اكتــسبتَ هجــائي شــرَّ منقلَــبِ
أقــسمتُ بالمــانِحِي وجهــاً أضَــنُّ بــه ... عــن الــسؤالِ، وعِرضــاً غيــر منتهــبِ
ونُهيــةً عــصمتْني أنْ أُرى حَمقــا ... مــن باعــة الرَّوعــة الروحــاء بالنــصبِ
مامُــشتْه قُربَــك المكــروه ذا رَشَــد ... ياقِرْبــة الــنفط لا قُدّســتَ فــي القــربِ
وأيُّ نفــطٍ كرشْــحِ أنــت راشــحه ... ســوادَ لــونٍ، ونَتْنــاً غيــر مكتَــسَبِ
كــم قائــلٍ لــكَ-إذ مَــستك قــارعتي-: ... دعِ الــسكون، فهــذا حــين مــضطربِ
أبــا عُبــادةَ:ذَر مــا كنــتَ تَنْــسجُه ... وخــذ لنفــسكَ يامــسكين فــي النَّــدبِ
قد كنتَ تعرفُ منّــي فــي الرِّضــا رجــلاً ... حلــو المذاقــة فــاعرفني لــدى الغَــضَبِ
تَعرَفْ فتــىً فيــه طــوراً مُجْتَنَــى سـلَعٍ ... للمُجتنين،وطــوراً مُجتنــى رُطَــبِ(٩١)

وحين يتعرّض السّريّ الرّفّاء للخالديّين ويهجوهما ؛ لأنهما سرقا شعره، نراه يعلل تلك السرقة بقصور شاعريتهما، فهما يسرقان شعره ؛ لأنّ الشعر لا يطاوعهما ولا ينقاد لهما، بينما السّريّ الرّفاء يقف الشعر ببابه على حدِّ زعمه، ومن هنا يأتي افتخاره بشعره، فهو على العكس من الخالديّين يتمكّن من الشعر في أيّ وقت يشاء، فلا يضطرّ إلى السرقة مثلهما:

**شَنَّا على الآدابِ أقبحَ غارةٍ ... جَرحَتْ قُلوبَ مَحاسِنِ الآدابِ**

**فحذارِ مِنْ حَركاتِ صِلَى قَفْرةٍ ... وحَذارِ من حَركاتِ لَيثي غابِ**

**لا يسلُبانِ اخا الثَّراءِ وإنّما ... يتناهَبانِ نتائجَ الألبابِ**

**إنْ عَزَّ موجودُ الكلامِ عليهما ... فأنا الذي وَقَفَ الكلامُ ببابي**(٩٢)

والسّريّ الرّفّاء يؤكّد مقدرته على هجاء الخالِديَّين في أيّ وقت ، فهو جريئ على ذلك، فضلاً عن تأكيده أنّه لا يفتري في القول عليهما، ثم يطلب من سامعيه الإنصات إلى قصيدته في هجائهما، التي أسماها (الحسناء) لافتخاره بها، وثقته بجودتها، ولولا الفُحشُ الذي تتضمّنه بعض أبياتها لتمثّل الخطيبُ بها على منبره، وهذا ما يؤكّد افتخار الشاعر بشعره، وتفضيله إيّاه على شعر الخالِديَّين، إذ قال:

**إنِّي على ثَلْبِكُما لَمُجتَرِي ... وفي الذي أطلَقْتُ غَيرُ مُفْتَرِي**

**فاستَمِعا حَسْناءَ لو لم تُهْجَرِ ... حَلَّى بها الخاطِبُ جِيدَ المِنْبَرِ**(٩٣)

وبختام الحديث عن افتخار الشعراء الهجّائين في قصائدهم ومقطوعاتهم التي هجوا بها شعراء آخرين، لم يتبقَّ لدينا إلاّ مقطوعة يتيمة تحتوي معنىً هجائيًّا نادراً لأحد الشعراء العباسيين، فالمهجو فيها هو الشاعر عمارة بن الحسن اليمني الذي صلبه السلطان صلاح الدين سنة ٥٦٩هـ، بعد أنْ بلغه أنّه اتّفق مع داعي الدعاة وجماعة من أعيان الدولة في التدبير عليه، وكاتبوا الفرنج، فأفتوه بقتلهم وصلبهم، ونفيهم وأمر بصلبهم(٩٤) أمّا الشاعر الهاجي، فهو أبو اليُمن تاج الدين زيدُ بن الحسن الكندي البغدادي، الذي استثمر فرصة خيانة الشاعر المهجو، فهجاه بمقطوعة تتألف من أربعة أبيات، جعل قوافيها الأربعة متشابهة الألفاظ (صليبا)، إلاّ أنّها مختلفة المعاني، وتحدّ ث فيها عن خيانة الشاعر المهجو للإسلام ومبايعته للنصارى، فكان جزاؤه الصلب الذي استحقّه طبعاً ؛ لخيانته تلك، ويكون مصيره جهنّم في الآخرة، قال:

**عُمارةُ في الإسلام أبدى خيانة ... وبايع فيها بيعةً وصليبا**

**وأمسى يعين الشِّركَ في بغض أحمد ... فأصبح في حبِّ الصليب صليبا**

**وكان خبيث الملتقى ان عجمته ... تجد منه عوداً في النفاق صليبا**

**سيلقى غداً ماكان يسعى لمثله ... ويُسقى صديداً في لظى وصليبا**(٩٥)

تبيّن لنا من خلال دراسة الهجاء لدى كثير من الشعراء العباسيين لبعضهم، أو فيما بينهم، أنّه انماز بكثرة انتهاك الأعراض وقذف المحصنات، فضلاً عن الطعن في نسب بعض الشعراء ، وبطبيعة الأمر كَثُـرَت الألفـاظ البذيئة والفاحشة في ذلك الشعر، التي يعفّ اللسان عن ذكرها، والسمع عن سماعها.

وكَثُرَ الهجاء بين الشعراء العباسيين لأسباب عدّة، فقد جاء أمّا لطلب الشهرة على حساب الشعراء الكبـار والمشهورين في حال ردِّهم عليهم، أو لابتزازهم من خلال تخويفهم وبثّ الرعب فيهم من طريق ذلك الهجـاء، أو جاء بدوافع الحسد أو الغيرة والحقد ؛ بسبب المنافسة الكبيرة بين الشعراء.

إنّ الشعراء الذين اكثروا من توجيه السباب والشتائم لمهجويهم، لم يجدوا في أولئك المهجوّين ما يمكن أنْ يستثمروه في هجائهم من عيوب نفسية أو شخصية، فلجؤوا إلى السباب، وبالمقابل فقد تطـرّق بعـض الـشعراء الهجائين إلى قضية مهمّة، هي عدم كفاءة الشاعر المهجو للشاعر الهاجي ؛ استصغاراً لشأن مهجوّيهم، وللـسبب نفسه وجدنا بعض الشعراء يفتخرون بأشعارهم في هجاء خصومهم، ويفضّلونها على أشعار خصومهم من الشعراء الآخرين.

كما أنّ بعض الهجاء انماز بفكاهيته، وأنه عبارة عن صور هزلية ساخرة من المهجو، كما فـي هجـاء مخلد بن بكار الموصليّ لأبي تمام وغيره، فضلاً عن أنّ كثيراً من الصفات والسلبيات النفسية والجسدية التي هجـا بها بعض الشعراء لم تكن صحيحة، بل كانت من صنع خيال الشعراء بدوافع الحسد أو الغضب، والأسباب نفـسها دعتهم إلى الهجاء بالمهن التي احترفها بعض الشعراء أمثال الزيّات والنامي وغيرهما.

ومن الملاحظات الموضوعية التي توصّلنا لها أنّ بعض الشعراء العباسيين الهجّائين خـاطبوا مهجـوّيهم بأسماء الحيوانات، وأكثروا منها، ولاسيما الكلب والقرد على وجه الخصوص، فضلاً عن أنّ بعـضهم لجـأ إلـى هجاء الشعراء الأموات، كما هُجِيَ أبو تمام وابن المعتز وغيرهما بعد موتهم، وذلك إنْ دَلَّ على شيء فإنّمـا يـدلّ على تجاوز المألوف في قول الشعر، والتمادي إلى أبعد الدرجات ؛ بحيث أنّ الأموات لا يسلمون من ألسنة بعـض الشعراء، ويبقى الحقد من أولئك الشعراء هو الدافع الرئيس الذي دفعهم لهجائهم بعد موتهم.

لقد انتهج بعض الشعراء العباسيين أسلوباً فنيًّا متميزاً في هجاء بعض الـشعراء، وذلـك حـين أوهمـوا متلقّيهم بأنهم يمدحون مَن يتحدّثون عنهم، إلاّ أنّهم يلتفتون لهم في نهاية أبياتهم ويوجّهون لهم هجاءً قاسياً، فـاحتوى أسلوبهم على عنصر المفاجأة، إذ سرعان ما يتغير الأسلوب من المدح إلى الهجاء، وهو أسلوب يدلّ على عبقريـة منتهجيه، وتمكّنهم من أدواتهم اللغوية والفنية.

وكان التأثّر بالشعراء السابقين طفيفاً جدًّا ؛ لأنّ كلّ شاعر يهجو بما في نفسه من المهجو، ولذلك نـراه لا يتأثّر بالشعراء الذين سبقوه زمنيًّا أو الذين عاصروه بقدر خضوعه للأحقاد التي تكمن في صدره، محاولاً إخراجها بمقدرته الخاصّة ؛ لإرضاء نفسه وحقده تجاه الآخر المهجو.

إنّ مَن يُنعم النظر في كثير من النصوص الشعرية التي احتوتها دراسة هجاء الشعراء العباسـيين فيمـا بينهم، سيعجب من الحال التي وصل إليها كثير منهم، من قلّة الحياء، ومن عدم الخوف من الله (سبحانه وتعـالى)، فلم يفكروا بمدى الألم الذي يتسببونه لمهجوّيهم، ولا يهمهم إلاّ إرضاء أحقادهم، وإطفاء نار الغضب والحقـد التـي تعصف بهم، حتّى وإنْ كان من خلال الطعن بشرف الآخرين وقذف المحصنات.

وكانت أكثر القصائد والمقطوعات التي نظمها الشعراء العباسيون في هجاء الشعراء الآخرين منظومة على البحور السريعة والخفيفة في موسيقاها ؛ لسرعة حفظها من لدن المتلقين، ومن ثم تحقيق المرامي المنشودة من لدن الشعراء الذين نظموها من حيث الحفظ والانتشار ؛ للنيل من مهجوّيهم، ومن تلك الأوزان : السريع، الرجز، الخفيف، الرمل، المنسرح، الهزج، والمجتث، فضلاً عن النظم على المجزوء من تلك البحور، سواء من البحور المذكورة أو سواها.

**الهوامش:**

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١/١٠٩.
(٢) ينظر: م.ن ١/١١٠.
(٣) ينظر: م.ن ١/١١٠.
(٤) ينظر: م.ن ١/١١٠.
(٥) ينظر: م.ن ١/١١١.
(٦) ينظر: م.ن ١/١١١.
(٧) شرح ديوان المتنبي ٤/٣٣٨.
(٨) شعر الشافعي/١٠٩، الأسود: الحية . السالخ: أي جلده، الشاعر الهجّاء الذي يطرح رداء الحياء.
(٩) شرح ديوان المتنبي ٢/١١٠، الشأو: الغاية، ابن دأية: الغراب، وهو يوصف بحدّة البصر، والخلد: نوع من الفأر أعمى، يُضرب به المثل في قوة السمع.
(١٠) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١/١١١.
(١١) ينظر: الأغاني ٣/١٤٨- ١٤٩، والبيتان في: (أبو الشمقمق وما تبقى من شعره)/١٥١.
(١٢) ينظر: طبقات الشعراء/٦٧- ٦٨.
(١٣) ينظر: م.ن /٢٦٥- ٢٦٦.
(١٤)العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١/١٢٠.
(١٥) ينظر: طبقات الشعراء /٢٠٢- ٢٠٤، الشمري: الماضي في الأمور والمجرب والمجد. الجلجل: الجرس الصغير. والمُستكِن والمجحدر والدحداح :القصير.
(١٦) ينظر: م.ن /٢٤١.
(١٧) أبو الشمقمق وما تبقى من شعره،١٣٧- ١٣٨.
(١٨) م.ن/١٥٢.
(١٩) ديوان أبي نواس/٦١٠.
(٢٠) أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي/٥٧- ٥٨، سهام غير مشوية: أي غير مميتة.
(٢١) م.ن/٥٩، الأزمل: الصوت وكذلك الأطيط، والوداق: اشتهاء الأنثى للفحل.
(٢٢) شعر أبي سعد المخزومي/٢٦ وتنظر:٢٧.
(٢٣) م.ن/٤٧.
(٢٤) الزلزلة/١.
(٢٥) شعر أبي سعد المخزومي/٥٠.
(٢٦) م.ن/٥٠.
(٢٧) م.ن/٥٠.
(٢٨) شاعر المنارة مخلد بن بكار الموصليّ/١١٢- ١١٣، الحنَّار: هو حلقة الدبر أو ما بينه وبين القبل أو الخط بين الخصيتين . الغادية: السحابة تنشأ غدوة، أو مطرة الغداة. الكمر: جمع كمرة، وهي رأس الذكر. النوء: جردان: هو قضيب ذوات الحوافر، أو كلّ قضيب. الحُلاق: الحُلاق من الأتان: أنثى الحمار التي لا تشبع من السفاد ولا تعلق مع ذلك، أي لا تحبل . الخصر: البرد.
(٢٩) شعر دعبل بن علي الخزاعي/٩٤، حقيبته: يريد عجزه.

(٣٠) م.ن/ ١٢٧، القوصرة: وعاء من القصب يوضع فيه التمر، ويكني بها عن المرأة ، وكانت الكلمة لقباً على أبي سعد المخزومي . التجبية: أنْ يقوم الإنسان مقام الراكع . والعقد: عقد طاق البناء. المقطرة: الفلق، وهو خشبة فيها خروق على قدْر سعة المحبوس . الكُندُر: شجر اللُّبان أو صمغه، ويصلح لدواء قروح الاحتراق، ويوضع مع الفحم أحياناً حتى يشتعل.

(٣١) ديوان ابن الرومي ٢٧٣/١- ٢٧٤.

(٣٢) تاريخ الأدب العربي/٥٣٢.

(٣٣) ديوان السّريّ الرفّاء ٣٣٦/٢، ناووسا: صندوق من خشب يضع النصارى فيه جثة الميت . الرَّخَم: نوع من الطير موصوف بالغدر.

(٣٤) ديوان أبي نواس/٦٢٦.

(٣٥) ينظر: شاعر المنارة مخلد بن بكار الموصليّ/ ١٠٢- ١٠٣.

(٣٦) م.ن /١٠٣- ١٠٥، أجأ: جبل في نجد كانت قبيلة طيء تسكن بينه وبين جبل سلمى. الخزامى: نبت زهرة من أطيب الأزهار. الثمام: نبت ضعيف لا يطول . الشلو: العضو والجسد من كل شيء، وكل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية . النبع: شجر تتخذ منه السهام والقسي . البشام: شجر طيب الرائحة تتخذ عيدانه لإخراج ما دخل بين الأسنان من طعام . قذى العين: هو الرمص . النواصي: جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس إذا طال . ثغام: شجر أبيض الزهر. يرابيع: جمع يربوع: نوع من الفأر قصير اليدين طويل الرجلين. خام: جمع خامة وهي من الزرع أول ما ينبت على ساق واحدة، وقيل : هي الشجرة الغضّة الرطبة، والخام من الجلود مالم يدبغ، ولعله استعار الشجرة الغضّة تشبيهاً له بفتوته وشبابه من بني الانباط . سِلام: الحجارة واحدتها سلمة، ويرى المحقق أنّ الكلمة هي (سَلام) من خلال سياق الكلام، أي الشجر الأخضر. ويقصد الشاعر أشجاراً خضراء تحيط جبل سلمى لا الصخور الجرداء. الصِرام: أوان إدراك النخل.

(٣٧) ينظر: م.ن/١٠٦- ١٠٧.

(٣٨) م.ن :١٠٧- ١١٠ ، امتخط: اختطف . الوبرة: دويبة على قدر السنور من دواب الصحراء. الضب: حيوان من الزواحف ذنبه كثير العقد . امتش: امتش اليربوع: أي مصّه ممضوغاً . الماء النقاخ: البارد العذب الصافي الخالص. القرفصا : أصلها القرفصاء، وهي أنْ يجلس الرجل على ركبتيه ويلصق بطنه بفخذه فينكب على وجهه. جعجعان: الجعجاع: المكان الضيق الخشن . الغلب: جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة . العطب: القطن . العَير: الحمار. الحوب: الضخم من الجمال . الغرْب: الرواية التي يحمل عليها أو الدلو العظيمة.

(٣٩) م.ن/١١١- ١١٢/ تطايا: من الفعل طوى يطوي لأنه أتى معها بكلمة (منشور) . الطاق: ما عطف من الأبنية. الشخيت: النحيف الجسم، الضئيل، الطاء: أول حرف من حروف كلمة (طيء). الفرسخ : ثمانية كيلو مترات تقريباً.

(٤٠) شعر دعبل بن علي الخزاعي/ ١٠٣- ١٠٤.

(٤١) م.ن/١٠٩ ، الصَّكّ: الكتاب: سَنَّ: صبَّ.

(٤٢) م.ن/٢١١.

(٤٣) م.ن/ ١٧٣، النغل: فاسد النسب.

(٤٤) شعر ابن المعتز ٦٠٩/١.

(٤٥) ديوان الحماني علي بن محمد العلوي الكوفي/٥٣ . الأخشبان: جبلا مكة: أبو قبيس والأحمر، أو هما جبلا منى . مصقَلِيًّا : نسبة إلى مصقلة بن هُبيرة الشيباني، وكان عامل الإمام علي عليه السلام على أردشير خُرَّة، فخان الإمام في مالٍ ولحق بمعاوية بن أبي سفيان.

(٤٦) يزيد المهلبي/٢٣٩- ٢٤٠.

(٤٧) أحمد بن أبي طاهر طيفور، حياته – شعره – رسائله/٢٩٧.

(٤٨) ينظر: تاريخ الأدب العربي/٥١٥.

(٤٩) ديوان البحتري ٧٩٨/٢- ٧٩٩.

(٥٠) شرح ديوان المتنبي ٢٥١/٣.

(٥١) شعر ابن لنكك البصري/٣٢، الطرطور: القلنسوة الدقيقة الطويلة . الشوابير: ربما هو جمع شبور كتنور وهو القبع، ويعتقد محقق شعره أنّ الصواب (سوابيره) بالسين: أي هيأته ولونه أو منظره. السمور: حيوان بري يتخذ من جلده فراء ثمينة.

(٥٢) م.ن/ ٤٢- ٤٣.

(٥٣) م.ن/٤٨ ، الجاثليق: متقدم الأساقفة.

(٥٤) م.ن/٤٨.

(٥٥) أبو الشمقمق وما تبقى من شعره/١٣٥.

[٥٦] م.ن/ ١٥١.
[٥٧] م.ن/١٥٢.
[٥٨] شاعر المنارة مخلد بن بكار الموصليّ /١١١.
[٥٩] أبو علي البصير، حياته وشعره /٢٩٣.
[٦٠] ابن بسّام ، حياته وشعره /٤٣٤ ، البرذون : يطلق على الخيل غير العربية.
[٦١] ديوان الحَمْدَوي / ٨١.
[٦٢] ديوان ابن الرومي ٢٧٠/١ ، الخبب: ضرب من العدو ، وقيل: الخبب: السرعة . سابغ: أي كامل وواف، وسبغ الشيءُ : طال إلى الأرض . ينظر: لسان العرب / مادة خبب ، وسبغ.
[٦٣] سلم الخاسر وما تبقى من شعره / ٩٧.
[٦٤] بكر بن النطاح / ٢٤٤.
[٦٥] ديوان خالد الكاتب/ ٥٢٠-٥٢١ ، العارض : السحاب المطل. شلاّء: شلّ الثوب : أصابه سواد ونحوه لا يذهب بالغسل . دهرية : قديمة.
[٦٦] ديوان البحتري ١٤٤٥/٣.
[٦٧] ديوان عبد الصمد بن المعذّل / ١٦١-١٦٢.
[٦٨] يزيد المهلبي / ٢٥٠-٢٥١.
[٦٩] ديوان خالد الكاتب / ٥١٠-٥١١، الحرفة: الحرمان، وسوء الحظ.
[٧٠] شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوّك /١٦٣-١٦٤.
[٧١] ديوان علي بن الجهم /٨١-٨٢ ، زاريات: عائبات. الطَّوْف: قرب ينفخ فيها ويشد بعضها إلى بعض كهيأة السطح يركب عليها في الماء ويحمل عليها . هرون: هو الخليفة العباسي الواثق بالله. ألف صخّب : أي ألف سوط. مثمرات : لها ثمر. والثمرة من السوط : عقدة في طرفه.
[٧٢] م.ن/ ٨٣.
[٧٣] ينظر: ديوان السّريّ الرّفّاء ٣٨٢/١، ٤١٩/٢.
[٧٤] ديوان خالد الكاتب / ٥١٤.
[٧٥] أحمد بن أبي طاهر طيفور، حياته – شعره- رسائله / ٣٠٨.
[٧٦] ديوان البحتري ١٢٨/١.
[٧٧] ديوان ابن الرومي ٢٧٠/١-٢٧٢، شعف : شَعَفةُ كلّ شيء: أعلاه، وشَعَفةُ الجبل : رأسه . الصَّخب: الصياح والجلبة وشدّة الصوت واختلاطه. ينظر: لسان العرب / مادة شعف، وصخب.
[٧٨] ديوان ابن الرومي ٥٦٦/٢، المرخ : المزاح . الكشخ: الدَّيُوث، وهو دخيل في كلام العرب . ينظر: لسان العرب / مادة مرخ، وكشخ.
[٧٩] ديوان ابن الرومي ١١٩٦/٣-١١٩٧ ، شُعِّرْتَ: فعل اشتقّه ابن الرومي بمعنى عددت شاعرًا.
[٨٠] يحيى بن علي المنجم، حياته وشعره/ ٢٠٥-٢٠٦.
[٨١] م.ن/٢١٣.
[٨٢] جحظة البرمكي الأديب الشاعر/ ٢٨٠، الفهاهة : العي.
[٨٣] ديوان السّريّ الرّفّاء ٣٠٤/١ ، يكتن : يستتر.
[٨٤] ينظر: م.ن ٤١١/١، ١٩٥/٢-١٩٦، ١٩٧، ٥٠٣.
[٨٥] م.ن ٣٨٢/١-٣٨٣.
[٨٦] ينظر : م.ن ٤١٩/٢-٤٢١.
[٨٧] ديوان الخالديَّين /٥٢.
[٨٨] شعر أبي سعد المخزومي/ ٣٢.
[٨٩] ينظر: تارخ الأدب العربي /٤٨٦.
[٩٠] ديوان أبي تمام ٣٥٥/٤-٣٥٧.

(٩١) ديوان ابن الرومي ٢٧٤/١ ، السلع : شجر مرّ، وقيل : سام.

(٩٢) ديوان السّريّ الرّفّاء ٤١١/١.

(٩٣) م.ن ١٧٣/٢، مفتري : مكذب. تُهجِر: تُفحِش.

(٩٤) ينظر : أبو اليُمن تاجُ الدين زيدُ بن الحسن الكندي البغدادي، حياته وما تبقى من شعره/٤٦.

(٩٥) م.ن/٤٧، الصليب الأول للنصارى، والثاني بمعنى مصلوب، والثالث من الصلابة، والرابع ودك العظام، وقيل : هو الصديد ، أي يُسقى ما يسيل من أهل النار.

**المصادر والمراجع**


- القرآن الكريم، أفضل المصادر وأكرمها.
- ابن بسّام ، حياته وشعره، ضمن: شعراء عباسيون ، الدكتور يونس أحمد السامرائي، ج٢، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- أبو الشمقمق وما تبقى من شعره، ضمن: شعراء عباسيون، دراسات ونصوص شعرية، غوستاف فون غرنباوم ، ترجمها وأعاد تحقيقها: الدكتور محمد يوسف نجم، راجعها: الدكتور إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، مطبعة عيتاني ، ١٩٥٩.
- أبو علي البصير، حياته وشعره ، ضمن : شعراء عباسيون ، الدكتور يونس أحمد السامرائي ، ج٢، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- أبو اليُمن تاجُ الدين زيدُ بن الحسن الكندي البغدادي، حياته وما تبقى من شعره، تقديم وتحقيق: الدكتور سامي مكي العاني، هلال ناجي، مطبعة المعارف- بغداد، ط١، ١٩٧٧.
- أحمد بن أبي طاهر طيفور، حياته – شعره- رسائله، دراسة وتحقيق: هلال ناجي، ضمن: أربعة شعراء عباسيون، الدكتور نوري حمودي القيسي، الأستاذ هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين، الأستاذ : بكر عباس، دار صادر -بيروت، د.ت،
- بكر بن النطاح، ضمن: عشرة شعراء مقلّون، صنعة الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، الموصل، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، المطبعة البولسية، بيروت- لبنان، ط٦، د.ت.
- جحظة البرمكي، الأديب الشاعر، تأليف: الدكتور مزهر السوداني، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
- ديوان ابن الرومي، أبي الحسن علي بن العباس بن جريح ، تحقيق: الدكتور حسين نصّار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ١٣٢٤هـ- ٢٠٠٣م، شارك في تحقيق الجزء الأول: د.سيدة حامد عبد العال، منير محمد المدني، وشارك في تحقيق الجزء الثاني: د.سيدة حامد، د.محمد عادل خلف، زينب القوصي، منير المدني، وشارك في تحقيق الجزء الثالث: د. سيدة حامد ، د.محمد عادل خلف، زينب القوصي، منير المدني.
- ديوان أبي تمّام، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، م٤، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥.
- ديوان أبي نواس، برواية الصولي، تحقيق: الدكتور بهجة عبد الغفور الحديثي، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- ديوان البحتري، عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر- القاهرة، ج١، ط٢، د.ت، ج٢، ١٩٦٣، ج٣، ١٩٦٥.
- ديوان الحماني علي بن محمد العلوي الكوفي، تحقيق: الدكتور محمد حسين الأعرجي، دار صادر- بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- ديوان الحَمْدَوي، جمع وتحقيق: أحمد النجدي، مجلة المورد، مجلة تراثية فصلية، تصدرها وزارة الاعلام- الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة- بغداد، م٢، ع٣، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م.
- ديوان خالد الكاتب، من شعراء القرن الثالث الهجري، تحقيق ودراسة: الدكتور يونس أحمد السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشر هذا الكتاب، طبع بمطبعة دار الرسالة، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- ديوان الخالديَّين ، أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي، جمعه وحقّقه: الدكتور سامي الدهان، دار صادر- بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

-ديوان السّريّ الرّفّاء، تحقيق ودراسة :الدكتور حبيب حسين الحسني، منشورات وزارة الثقافة والاعلام- الجمهورية العراقية، ج١، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، ١٩٨١، ج٢، دار الرشيد للنشر، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨١.
-ديوان عبد الصمد بن المعذّل، حقّقه وقدّم له: الدكتور زهير غازي زاهد، دار صادر- بيروت، ط١، ١٩٩٨.
-ديوان علي بن الجهم، تحقيق: خليل مردم بك، دار صادر -بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
-سلم الخاسر وما تبقى من شعره، ضمن : شعراء عباسيون، دراسات ونصوص شعرية، غوستاف فون غرنباوم، ترجمها واعاد تحقيقها: الدكتور محمد يوسف نجم، راجعها: الدكتور إحسان عباس، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، مطبعة عيتاني، ١٩٥٩.
-شاعر المنارة مخلدُ بنُ بكار الموصليّ، محمود الجومرد، مطبعة المعارف- بغداد، ط١، ١٩٧٧.
-شرح ديوان المتنبي، وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، ١٣٥٧هـ- ١٩٣٨م [ تاريخ مقدمة الطبعة الثانية].
-شعر ابن لنكك البصري، حقّقه وقدّم له: زهير غازي زاهد، مستل من مجلة الخليج العربي، ع ١، السنة الأولى ، طبع بمطبعة حداد، البصرة، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
-شعر ابن المعتز، صنعة: أبي بكر بن محمد بن يحيى الصولي، دراسة وتحقيق: الدكتور يونس احمد السامرائي، ج١، منشورات وزارة الإعلام- الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة- بغداد، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
-شعر أبي سعد المخزومي، جمعه وحقّقه : الدكتور رزوق فرج رزوق، مطبعة الإيمان، بغداد، ١٩٧١.
-شعر دعبل بن علي الخزاعي، صنعة : الدكتور عبد الكريم الأشتر، دمشق، ١٩٦٤م، [تاريخ المقدمة].
-شعر الشافعي، الإمام الفقيه أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: الدكتور مجاهد مصطفى بهجت، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
-شعر علي بن جبلة المعروف بالعكوّك، تحقيق ودراسة: أحمد نصيف الجنابي، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
-طبقات الشعراء، ابن المعتز، تحقيق : عبد الستار أحمد فرّاج، دار المعارف ، ط٤، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م[ تاريخ مقدمة المحقق].
-العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تأليف: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، حقّقه وفصّله وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت- لبنان، ط٤، ١٩٧٢م.
-لسان العرب، العلامة ابن منظور، معجم لغوي علمي، قدّم له العلاّمة الشيخ عبدالله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، نديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.
-يحيى بن علي المنجم، حياته وشعره، دراسة وتحقيق: هلال ناجي، ضمن: اربعة شعراء عباسيون، الدكتور نوري حمودي القيسي، الأستاذ هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤.
-يزيد المهلبي، ضمن : شعراء عباسيون، الدكتور يونس احمد السامرائي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.